

فهرست

کتاب القول المفید فی آنا را الصعید

لطلبة مدرسة دار العلوم

مرتبة على حروف المعجم

(فهرست كتاب القول المفيد في اثار الصعيد لطلبة مدرسة دارالعلوم مرتبة على حروف المعجم)

صحيفة	صحيفة
(حرف الالف)	(حرف الراء)
ارمنت ٨٥	الرحبة الاولى من هيكل هاتور ٥٤
اسنا ١٠٤	» الثانية » ٥٦
أسيوط ٤٥	» الثالثة » ٥٦
اصطبل عنتر ٤٧	» الرابعة » ٥٧
الاقصر ٦٧ و ٦٠	الروضة ومعمل السكر ٤٤
أهمية السياحة ٧	(حرف السين)
(حرف الباء)	سبب السياحة ٦
باب الملوك ٦١	سوهاج ٤٩
البدرشين منف ٢٠	(حرف العين)
بربة هاتاسو ٦٥	العراية المدفونة ١١٣
بربي اسنا ١٠٥	(حرف الفاء والقاف والكاف)
بني حسن ٢٨	فرشوط وتراجم علمائها ٥٢
(حرف التاء)	قصر أنس الوجود ٩٩
تمثال رمسيس الاكبر ١٢ و ٣٢	قنا ١٠٨
(حرف الجيم)	الكرنك ١٦٨
جدول أسماء أفراد الارسالية ١٦	(حرف الميم)
جزيرة اسوان ٩٥	مدرسة اسنا ١٠٦
(حرف الخاء)	مدفن رئيس كهنة العائلة الخامسة ٢٨
الخطبة ٥	مدفن العجول ٢٧
(حرف الدال)	معبد أمون رع ٦٠
دشنا ١١٠	معمل سكر الروضة ٤٢
دندره ٥٣	المغارات التي استكشفها السير ٩١
	غرانفيل

(تابع فهرست كتاب القول المفيد في اثار الصعيد لطلبة مدرسة دارالعلوم مرتبة على حروف المعجم)

صفحة	صفحة
(تابع حرف اليا)	(تابع حرف الميم)
اليوم السابع من السفر ٥٣	مقارنة عمارات طيبة بغيرها ٨٣
» الثامن ٦٠	مقدمة لحضرة ناظر المدرسة ٣
» التاسع ٦٨	منف ٢٠
» العاشر ٧٦	(حرف الهاء)
» الحادي عشر ٨٥	هرم اوتاس ٣٠
» الثاني عشر ٨٦	» يديس الاول ٣١
» الثالث عشر ٩١	» تن ٣١
» الرابع عشر ٩٨	الهرم المدرج ٢٦
» الخامس عشر ١٠١	هيكل ادفو ٨٧
» السادس عشر ١٠٣	» رمسيوم ٦٦
» السابع عشر ١٠٥	» كوينو ١٠٣
» الثامن عشر ١٠٨	» هاتور ٥٣
» التاسع عشر ١١٠	(حرف الواو)
» العشرون ١١٣	وجوب السياحة في الوطن ابتداء ١١
» الحادي والعشرون ١١٥	وصف عام لمدينة طيبة ٨٠
» الثاني والعشرون ١١٧	(حرف الياء)
	اليوم الاول من السفر ١٥
	» الثاني ٣٣ (وهرم ميدوم)
	» الثالث ٣٦ (وجبل الطير)
	» الرابع ٤٤
	» الخامس ٤٦
	» السادس ٥٠

دارالعلوم الخديوية

كتاب

القول المفيد في آثار الصعيد

وهو رحلة لطلبة مدرسة دارالعلوم أثناء تجولهم في الوجه القبلي

في سنة ١٨٩١

قررت نظارة المعارف العمومية بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٨٩٢ غرة ٢٨٧

لنوم طبع هذا الكتاب على نفقة الحكومة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فالكتاب الذى بين يدي حضرات القراء وضعه بعض طلبة دار العلوم مع ضيق الاوقات التى يمكنهم فيها من اولة غير دروسهم

وبديهي أننا بطبعه استهدفنا هؤلاء الطلبة لسهام الانتقاد ولكنى أعلم منهم علم اليقين أن استهدافهم هذا يعدّ عندهم شيئاً قليلاً فى جانب مارسخ فى قلوبهم من حب أداء الواجب ووضع هذا الكتاب انما هو أداء لواجب فقد قضت الحكمة الالهية والاسرار الربانية أن يكون لكل أمة أمنية تسعى لها وتجتهد فى نوالها استجماعاً لتواها حتى لا يدركها التمزيق واستنهاضاً لعزائنها من التراخي واستبقاء لوجودها من الموت الذى يحدث لو حصل لها وقوف فى طريق العمران ولولا هذه الامانى ما خرج المتوحش من وكره ولا قاوم الضعيف القوى ولا وقف أحد فى ميدان المزاوجة ولا أحرم العالم نفسه حبا فى العلم من لذة الرقاد ولا صرف الفلكى وقته فى الحساب والارصاد

وهذه الامانى وان وجدت فى جميع البقاع فهى تختلف باختلاف الازمان والاصقاع وبحسب حالة الامة من التقدم والتقهقر فى المدنية والعمران تكون درجة الامانى فى الرفعة والضعفة

وأمنية المصرى الآن هى التعلم فقد ثبت له اليوم أن الانسان فى احتياج شديد الى معلومات كثيرة كثيرة جدا واحتياجه الى الرجولية أشد وأوجب وكلا المطلوبين لا يتم لامة من غير تعلم لذلك أصبح نداء الامة التعلم التعلم وفى رأى أن المسترجون كولو قد أدركوا هذا ولذلك لما أراد الاحتفال بتشريف خديونا الاعظم الاريكة الخديوية لم ير أحسن من توسيع نطاق المعلومات عند

خسین متعلما من المصریین باستطلاعهم آثار السلف ووقوفهم علی ما کان لهم من المجد الشاخی والشرف الباذخ (علی نفقته) اذ لاشئ عند الملوك أحب الیهم من مساعدة رعیتهم علی ادراك مناهها فسروورهم بسرورها وعزهم بعزها هم بها وهی بهم

ومن هؤلاء الخمسین اثنا عشر طالبا من مدرسة دارالعلوم فرأوا عند عودتهم من السباحة أن علیهم واجبا هو أداء الشکر للعضرة الفخيمة الخدیوية سبب هذه السباحة التي عادت علیهم بجلیل الفائدة

ولم یروا أحسن من جمع ملخص من معلقاتهم التي ڪتبوها أثناءها یكون مدلول شكرهم وعنوان اخلاصهم وکانوا اثنين منهم یجمع هذا الملخص وهما الشیخ محمد المهدي والشیخ محمد عاطف فقاما بالعمل وأنجزاه

وبذلك یرى القارئ أن هذا العمل فضلا عن كونه عمل متعلین فاساسه تعالیق اخذت فی السفر عند التنقل من مكان الى مكان ولذلك كان خلوها مما یستوجب انتقاد القارئ لیس مؤكدا عندی

ولكن المؤكد هو أن الباعث للطلبه علی وضع هذا الكتاب انما هو حب أداء الواجب ونية المرء خیر من عمله

فما أسعدهم اذا صادف عملهم هذا من ولی نعمتهم رضاء ومن الناس اقبالا والله یجزی المحسنین

تحریر فی ٢٥ ربیع الاول سنة ١٣١٠ الموافق ١٦ اکتوبر سنة ١٨٩٢

ناظر مدرسة دارالعلوم
(ابراهيم مصطفى)

الخطبة

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين)

من فضلك يا مبدع الآثار اسدء النعم اليانا ومنا رحمة القلوب خالصة لوجهك فرضا
علينا اللهم بك نستعين واياك نعبد واليك نلجأ ولعظيم جلالك نسجد تباركت
يا ذا الجلال وتنزهت عن الامثال لا تجتليك العيون ولا تحيط بك الظنون جعلت
الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا والجمال أوتادا والقمر نورا والشمس سراجا
والماء ثجاجا للخروج به حبا ونباتا وحنات ألفافا فسبحانك أجريت البحار ونوعت
المياه والانهار وألهمت السباحة وسهلت سبل السياحة وأوجدت الدواب وأنشأت
الجوارى فى الازهار وأثرت الرياح وأسأت الامطار وأظهرت آثارا دلت على عظيم
قدرتك وبديع صنعك جلت منفعة وأدهشت صنعا وحسنت فائدة وكملت بداية
ونهاية لك يا مدبر الكائنات فى كل منها آية ظاهرة دالة على كمال حكمتك الباهرة
ونستطير من فيض مجالك وواسع افضالك صلاة وسلاما على من وطد دعائم الدين
وشيده على أساس متين سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله وصحبه الذين
مهّدوا سبل الفضل وأظهروا وسارعو لامتثال قوله تعالى (قل سيروا فى الارض
فانظروا)

ونسألك اللهم عزاء وفخرا وتأيدا ونصرا لعزیز مصرنا الوحيد وملیک عصرنا الجديد
من امتطى مطايا العزم وسلك سبيل التدبير والحزم فشمّل فضله القاصى والدانى
(أفندينا عباس باشا حليم الثانى) عزيز ورث جميل المآثر كبرا
عن كبر وجد فى تحصيل العلم فاجاده وأفاض على البلاد الرفاده

عزيز يظل السعد يخدم سدة * يمر عليها كلما راح أو غدا
وأدم اللهم مجد عائلته وعزز بفضلك أكابر رجال دولته وأبطال حكومته واجعل
لنظارة المعارف العمومية من ذلك حظا جزيلًا وذكرًا جليلًا فى ظل ناظرها المجدد
سعادة زكى باشا الاوحد ووكيلها اليقظ الامين سعادة يعقوب باشا ارئين

هذا ولما منح بعض طلبة دارالعلوم الخديوية زيارة الآثار القديمة المصرية مع بقية من أذكاء المدارس العليا الذين حازوا في مضمار العلوم مرتبة قصوى بصعيد مصر الذي كان محط رحال الملوك والاعيان في غابر الازمان عهد الى ذلك البعض جمع رحلة عظيمة تنبئ عن وصف تلك الآثار القديمة فوفاء بالعهد وقياما بالوعد ألفناها وسميها (القول المفيد في آثار الصعيد) فخرجوا أن يروق عند العقلاء وضعها ويكمل في القلوب وقعها وأن تحسن بدايتها وتتم نهايتها

سبب السـياحة

مضى علينا نحن طلبة دارالعلوم حين من الدهر ونحن نتطلع للسـياحة لاسيما في القطر المصري للاطلاع على ماخلفه لنا الاول من المآثر وتركوه من الابنية الهائلة والنقوش المتقنة الوضع والرسوم المحكمة الصنع وما خبؤه لنا من الاسرار في هاتيك الآثار ومعلوم أن هذا القطر السعيد لعموم المصريين بمنزلة البيت للعائلة الواحدة ولا يحسن أن يجهل الانسان ما في بيته ويتقاعد عنه حتى يعلمه الاجنبي دونه وكلما رأينا توارد الاجانب وتزاحمهم على احراز هذه المزايا تشدد رغبتنا وتوجه هممتنا وتقوى عزيمتنا فنوالى الرجاء ونظيل التمني والزمان يحول دون هذه الاماني فكأنتا نتمنى عليه الوصول الى بيض الانوق أو الحصول على الابلق العقوق وما زلنا نردد في النفس هذه الاماني ولكنها

أمانى لاتدنى النوى غير أنها * تعلل منا أنفسا ملئت وجدا

الى أن طاع بدر السعد وسطع في الافاق المصرية وتلاّت أنواره وصارت واضحة الاشتراق بجلاس الحضرة الفخيمة العباسية على أريكة الخديوية المصرية فان هذه الحضرة أدامها الله لما كانت ترغب كثيرا في توسيع نطاق المعارف انتهز هذه الفرصة جناب المسترجون كولا وندم باخرته المسممة (بالبرنس عباس) للمعارف وطلب منها أن تسمح لمجلسين من المتعلمين بالسفر على هذه الباخرة الى الوجه القبلي على نفقته خاصة

ليطلعوا على الآثار ويكتشفوا مكنون الأسرار سرورا بمجلوس الحضرة الفخيمة
العباسية على سرير المملكة وخدمة لشبان رعيته واستجلابا لعواطف سموه كما قيل
كل من في الوجود يطلب صيدا * غير أن الشباك مختلفات
فاجابته المعارف وشكرته على هذا المسعى

ولما ورد علينا الخبر طفق السرور يلعب بنا والانشراح يستولى علينا وتيقنا أننا
سنتوصل لدراسة هذه الآثار دراسة عيانية كما درسناها دراسة علمية ولا تسلم عما
شملنا من البشر والارتياح لما ينشأ عنها من الفائدة وحرصا على عدم ضياع الفوائد
زيننا هذه المقالة بما ينبج عن الرحلة من المنافع الجليلة وها كها مهذبة منقحة

أهمية السباحة

كثرة المكث في المنازل ذل * فاغتنم سفرة بها تقن
ماجرى الماء فهو عذب زلال * وإذا طال مكثه يتأسن

حقيق بنا أن نشد الرحال ونحث مطايا الترحال ونجوب البلاد ونقتحم عباب
الاسفار ونشق غبار الشدائد لاستطلاع الفوائد اذ الشرف الرفيع والمجد الاثيل
وبلوغ الآمال في رياضة الابدان وتشحيذ الازهار بالتنقل من مكان الى مكان

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ومن تبصر رأى أن السباحة سلم الارتقاء وداعية التقدم ونبراس يهتدى بنوره
من يريد السير الى مافيه صلاح عاجله وآجله
وإذا كان المرء ذا عقل كامل وفكر سليم وجب عليه أن يتظر أولا الى أجل الامور
نفعاً وأجلها فائدة فيسعى اليه ويسير في طلبه خصوصا ما يعود على أمته وعليه
بالرفاهية والتقدم

لما نافع يسعى اللبيب فلا تكن * لشيء بعيد نفعه الدهر ساعيا
فتمت السباحة فرصة تغتنم وطريقا يسلك ومنزها يقصد تجنى من رياضته ثمار

التقدم وتقتطف من أغصانه أزهار العمران وعلى من يرغب في تلك الثمار الشهية
الطعم ويقصد هاتيك الأزهار الحسنة المنظر أن يخلع ثياب الكسل ويتسربل
بلباس الجهد غير مبال بارتكاب المشاق وافتحام الاخطار

فما استوى شرف الاعلى كلف * ولا صفا ذهب الاعلى لهب

أجل انما تشيد دعائم التقدم على أساس السياحة الوطيد ولا ريب في ذلك فان
من تصفح صحائف التاريخ ناظرا فيها بعين متبصر فطن يجد الامة الفينيقية لما
أزالت دنس الكسل وتطهرت من درن الخمول بماء الجهد ونمير الاجتهاد وامتعقت
متن البحر ومناور البر متوشحة بالثبات والحزم وضربت في الارض تبتغي من فضل
الله استولت على السعادة والمجد ونالت العز الباذخ والمجد الشاخي تلك أمة بلغت
من المجد ذروته فارتقت جميع سكان البسيطة بما كان لها من نشر الصنائع ومبادلة
المحصولات اللذين هما من أهم موارد السعادة والرفاهية فقد أنعم الله سبحانه
وتعالى بها على النوع الانساني فكانت وصلة بين أطرافه مؤلفة بين متفرقه جامعة
بين متشتته لان حكمته جل وعلا اقتضت تفرق ما ينفع الناس في جميع أنحاء المعمورة
فجعل في هذه البقعة مثلا معدني الذهب والفضة وفي تلك معدني النحاس والقمح
الحجري وهكذا وجعل سكان كل بقعة في احتياج الى ما في البقاع الاخرى من
الخيرات ليقوم به نظامهم وتقضى به حاجتهم

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وليس في قدرة أية أمة من الامم أن تقوم باختراع جميع ما يلزم لها من الصنائع حتى
تكون في غنية عما أجهد غيرها فيه الفكر وأطال النظر في اختراعه اذ كل أمة
خصت باستعداد طبيعي لشيء مخصوص توفرت في بلادها أسبابه وجعل السياحة
سيلا لازدواج تلك الصنائع وخصائص هاتيك البلاد فتولد من بينها ما قرت به العين
وارتاح له الخاطر وهل ينكر أنه بسير الامة الفينيقية في هذا الطريق اتسع نطاق
ثروتها حتى صارت تصنع من عظيم السفن ما به استوات على كثير من الجزائر

والبأاع وبقوق فكرها ذكاء حتى بوصول الى اسلكشاف كشر من الاشياء المفيدة كالزجاج واللون الاحمر الارجوانى ووضع الحروف الهجائية وبالناصر والتعاون وتمسكهم بالدين الذى هو الرابطة القوية لافراد الامة وبقدهم فى طلب أرزاقهم قويت شوكتهم وارتفع شأنهم وعظم بأسمهم وعز سلطاهم اذ من المعلوم أن الامة تقوى باأحاد أفرادها وارباطهم بدينهم

فالدين بالملك يبقى * والملك بالدين يقوى

ومن فوائد السياحة اسسطلاع عوائد الام ومعرفة أخلاقهم لاختيار الحسن منها وترك القبيح وبذلك تسع دائرة المعارف وتزداد المعلومات قال تعالى (أولم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) تنديدا على من تقاعد عن هذا الغرض ففاته الفائدة العظمى

وأعظم برهان يستدل به على فضل السياحة وكونها أساس العمران اسلكشاف تلك القارة العظيمة والممالك الرفيعة الشأن التى عم نفعها وعادت على أهالى أوروبا بل على جميع العالم بالفوائد التى يقف القلم دون ذكرها وينفد الحساب دون عدها ألاوهى قارة أمريكا التى تعد الآن فى مقدم القارات لوفرة غلاتها وجودة صنائعها وكثرة المستكشفين بها فلوم يكن فى السياحة الا اسلكشاف هاتيك القارة لكفاها شرفا ولا يقع بخلدك أن لتقدم الصنائع واسلكشاف الخبايا حدا لاأبجأوزه هو الذى وصل اليه مشاهير الام فتشبت بهذا الخاطر وتخلع دروع العزيمة متى وصلت الى هذا الحد ولو كانت خزان بارى السموات ومبدع الكائنات تنفذ من ملء حقائب الواردين لساغ لك هذا الركون وكيف ذلك ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام والبحر عيده من بعده سبعة أبجر مانفدت نعاؤه ولا أنضب ماؤها وكم اسلكشف الخلف مالم يصل اليه السلف وورد المتأخرون من المذاهل العذبة مالم يرده المتقدمون مع ما كان بهم من شدة الظمأ تلك أشياء لاأدخل تحت عصر ولاأخص عصرا دون عصر فهذه قوة انتشار البخار والكهربائية قد أفعمنا الارض بالمنافع حتى اهتدى أهلها الى سبيل

التعارف والتعاون مستضيئين بنورهما سالكين طريق العمران والكسب بفوائد هاتين القوتين ومع ذلك لم نحم أفكار أهل العصر الغابرة حولها ولا توجهت قواهم العقلية اليها وانظر ما امتلأت به الاسماع من أخبار الاختراعات الحديثة وما نتج من الفوائد الجمة التي عادت على أهل هذا النوع بما أنعم به وحسن حاله فلو تأمله الناظر الخبير وعرضه على محك الانتقاد متجردا عن الميل الى الكسل وحب التقاعد لعلم أن السياحة أساس التقدم والعمران الذي حصل به الاجتماع وتواصل المخلوقات حتى ارتقت على سلم الرفاهية والترف ولا تظن أن الاوطان لباس العز والرفعة وغيرها ثوب الذل والهوان فتلك أوهام ترد على من انكش تحت رداء الجبن وانطوى على ضعف القلب ووهن العزيمة وانما العز بالسعي والكد والتغرب في حب الرفعة

فالسهمرية ليس يشرف قدرها * حتى يباعد لديها عن غايه
والعضب لا يشقى امرأ من ثاره * الا بترك نجاته وقدرابه
فعليك أيها المحب للتخلي عن الرذائل والتخلي بالفضائل بركوب البحار وجوب القفار
لاستكمال المحاسن وبلوغ المآرب وهب ماتراه من المشقات لما تجتنيه من الثمرات
جدير بالاعلا من يصطفيا * ويركب في مطالبها الصعابا

وحيث أضأنا مصباح الاهتداء وكشفنا عن وجه الحقيقة نقاب الخفاء وتبين ما ينبج
عن السياحة وما يعود منها وجب امتطاء جواد الرحلة والاغتراب وقطع السباسب
وانضاء الركائب من غير نظر الى احتمال ركوبها وكثرة مشاقها (فن عرف المطلوب يحقر ما بذل)
ومن أراد العـلا عـفوا بلا تعب * قضى ولم يقض من ادراكها وطرا
لابد للشهد من نحل يمنعـه * لا يجتنى النفع من لم يحمل الضرا
فن وضع جنبه على مهاد الراحة حفت به الضعة ولباس التقاعد لا يقي حر ولا برد
الخسارة والكسل لا يؤخذ مزرعة فانه لا يثمر (وهل يجنى من اليبس الثمار) ومن
ركن الى وسوسة شيطان الكسل بغروره فأقعده عن التوشح بوشاح الجد احتوت

عليه الجهالة فصَدته عن السعادة واستحوذ عليه الشقاء فصَدّه عن الرشيد وسواء
السبيل وحب الوطن والادل لا يثنى صاحب الهمة عن التسربل بلباس السعادة
وهل في مخالطة الدعة والسكون الا سمة العجز الذي لا يثمر الا الذل

حب السلامة يثنى عزم صاحبه * عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * في الارض أوسلما في الجوّ واعتزل
ودع غمار العلا للمقدمين على * ركبها واقنع منهن بالبلل
رضا الذليل بخفض العيش مسكنة * والعز تحت رسوم الاينق الذلل
ان العلا حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث أن العز في النقل
فهل يحسن أن تأوى الى موطنه وتلبأ الى معاقله وهل يستوى الساعى والمتقاعد
أفلا أقل من أن تبذل الجهد وتثمر عن ساعد الجد وتقوم على قدم العزم فتدرك
ما شمل عليه الوطن السعيد وتعلم ماحوته دار عزنا ولا عذر تستند عليه ولا حجة
تركن اليها فالسياحة في الوطن هي الامر اللازم والشئ المحتم الواجب فعله حتى
يصدق ما هو مشهور (وصاحب البيت أدري بالذى فيه)

وجوب السياحة في الوطن ابتداء

قبل الشروع في هذا الموضوع نبين المراد من لفظ الوطن فان له معنيين عام وهو
المسكن وهذا يشمل الروح والبدن والدار والدرب والمدينة والقطر والارض والعالم
كله لان كلا منها مسكن فالروح مسكن الادراكات والبدن مسكن الروح والثياب
مسكن البدن وهكذا ولكل من هذه الاوطان حد

ولاداعي المقام تقتصر على الحق الواجب للوطن الخاص الذي نحن بصددده وهو
القطر الذي هو عبارة عن جزء من الارض تتخذه أمة من الامم مسكناً وهذا هو
المراد بقولهم (حب الوطن من الايمان)

ومعنى حب الوطن ايصال المنفعة اليه وتوطيد دعائم السعادة به
ان المحب اذا أحب حبيبه * تلقاه ييذل فيه مالم ييذل

وهذا الحق الذى تجب عنايته وتتعين رعايته هو تقديمه على ماعداه والاهتمام بكل أمر يعود عليه بالمران والتقدم وكيف لا يكون ذلك مطمح الانظار الصادقة وهدف الافكار السليمة وفائدة الوطن فائدة ساكنيه فانما الاوطان هي السكان فاذا سعى الوطنى فى اصلاح وطنه فانما سعى فى نجاح نفسه وارتفاع شأنه فبحسن بذلك حاله ويصلح مآله فن أحب وطنه انما أحب نفسه وحب النفس داعية المزاجية وعزيرة العمل وموطد أساس الحضارة ومشيد أركان الرفاهية واذ قد ثبت فيما أسلفناه أن السياحة من أهم الامور نفعا وأجلها فائدة فيجب أن تكون أولا فى الوطن الذى له علينا من الواجبات ما ليس لغيره وكيف يتقاعس عن ذلك عاقل مع أن ثمار السياحة فى الوطن أسهل تناولا وأقرب جنيا وأشهى مأخذا منها فى غيره فان الانسان مساق اليها بفطرته مجبول على حبها بطبيعته فقد علم مالها من عاجل الثمرة وقريب النائدة والمرء انما يسعى لنتيجة يتحصل عليها وكلما كانت أقرب كان حقها أوجب والا فما الفرق اذا بين الانسان الذى اختصه الله من بين العالم بمزية العقل وبين بقية الحيوانات بل والجمادات اذا كان ملقى فى دار لا يعرف محباها ولا يدرى ما مكن فى زواياها انما اذن أحسن حالا منه وهو أسوأ حالا وما لا منها فانه لا يقدر على أن يقيم عذرا على كسله وعذرهما واضح بين فقد رزق العقل وحرمة ومنع انقيادها له واستيلاءه عليها ووقعت فى ربة عبوديته

واذا قتش فى جراب الحيل وما أعد للاعتذار عند تسديد سهام اللوم لم يجد شيئا يدافع به فهل يمكن الاعتذار عن هذا التقصير بعدم سهولة السياحة وتيسر معداتها وقد توفرت معدات السفر وأمنت عواقبه ولم تبق الآن صعوبة كما كانت أيام أسلافنا الذين استصغروا كل صعب بشرف نفوسهم وعلو همهم حتى مهدوا لنا طريقا قويا وكانوا لنا اسوة حسنة

ولقد كان لهم جيل العذر أن استسلموا لجيوش المشاق وركنوا قليلا الى شئ من الراحة ولكنهم جزاهم الله خيرا لم يتركوا شيئا من عزائمهم الا استعملوه فى سبيل

التحصيل واستجلاب المنافع التي حسنت لمن بعدهم وجوه المكاسب وخففت وطأة المتاعب حتى تقدم الزمان رويدا رويدا واستكشف البحار وأحكمت صنعة السفن فسهلت المواصلات وتمكنت العلاقات وتقدمت التجارات وعرف الشرق الغربي واستكشف من المعمورة ما يضيق صدر البراع عن بث مجمله فضلا عن مفصله وانتقل العالم من حال الى حال ونهج في أموره أجمل منهج وأفيدته وقد توفرت ولله الحمد في مصرنا معدات السياحة برا وبحرا فأما البر فطريقه الواورات البخارية التي تبدئ من شاطئ البحر الأبيض الى أن تنتهي الى أسبوط بالوجه القبلي وتستصل ان شاء الله بهمة الحضرة الفخيمة الخديوية الى جرجا بل الى منتهى تخوم مصر وقد سهلت أجر الركاب في هذه الايام الاخيرة وأتقنت الواورات حتى كأن الراكب جالس في غرفة من غرف بيته الا أن راكب الواور يفضل ذلك الجالس برؤيته للاشياء الغريبة التي يشرف عليها الواور أثناء المسير ولم تخصص الواورات بعلمية الناس حتى لا يتسنى لمن دونهم وهم كثيرون أن يركبوا متون سفن البر لاجل الافادة والاستفادة بل جعلت عامة للكبير والصغير لكن على درجات مختلفه اعتبارا لاقدار الناس ومنازلهم والكل يصلون به الى مقاصدهم من غير تفاوت في الوصول الى ما يريدون والمرء لابهمة الا الوصول الى الغاية على أى حالة كان والذي يصنع ما يصنعه الغنى بغناه فليس المال فقط داعية الغنى بل الذكاء أيضا من دواعي الثروة فبدل أن كانت تستعمل القوافل لنقل عروض التجارة والفواكه التي ربما تغيرت قبل وصولها الى محل رواجها على طول الطريق وخطره وكثرة الزمن ومكابدة المشاق وذوق الآلام تكفلت الواورات بذلك كله مع السهولة وقصر الزمن وأمن الطريق ووصول الفاكهة واللحوم من أقصى الغرب وأمريكا الى البلاد الشرقية وهي غضة طرية ونمت المتاجر في فطرننا وتبدلت الصنائع وأما الوصول الى البلاد التي لم يمر

(١) وقد وصلت اليها الآن والكاب تحت الطبع بعناية الحضرة الفخيمة وسيحتفل بافتتاحها

الرسمى في ٥ فبراير سنة ١٨٩٣

عليها الواور فقد جعل الله في بلادنا من الحيوانات القدر الكافي لخلق الخيل والبغال والحمير كما قال تعالى (لتركبوها وزينة) وقال تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) وهي عندنا كثيرة فلا يصعب استعمالها في المواصله بين المدن التي لم تصل بينها الواورات ولا السفن وأما المدن التي على ضفاف النيل من مصبه الى منتهى التخوم المصريه فالوصول اليها أسهل من السهل وجميع المدن التي على ضفافه هي الحريه بالمشاهده والاولى بالمواصله لما لها من الاهميه فبعضها لتجارتها وبعضها لزراعتها وبعضها لآثارها وغير ذلك كما شاهدنا في الوجه القبلي وعندنا أن الطريق البحري قد صار الآن أسهل من الطريق البري وذلك أن الواورات البخار في الماء كثرت وهي على غاية من الحسن وقوة السير والمناسبه للذوق وهي على سطح الماء كالقصور الشامخة على سطح الارض غير أن تلك تسير بالبخار الى حيث شاء راكبها فلهذا السفر ما أحسن وأعظم فائدته وبالجملة فانه

إذا صحب الفتي جد وعزم * تحامته المكاره والخطوب

ولما أسلفنا من مزايا السياحه خصوصا مع سهوله طرقها جعلناها نصب أعيننا وكان من أهمها عندنا السياحه لرؤية الآثار المصريه لاخذها جانبا عظيما من صحائف التاريخ الا أن العوائق كانت تحول بيننا وبين أمانينا والنفس الى ما لم تر أشد شوقا منها الى غيره ومازلنا بين أمل بطول وموانع تحول ونحن نترقب الفرص لهذا الامر نرغب الاعياد حتى سمعت المقادير بما أمله الضمير وورد البشير من نظارة المعارف بان المسترحون كوك قد أجب مطلبه لنقل خمسين من شبان المعارف للوقوف على الآثار بالوجه القبلي الى الشلال الاول وكما من هؤلاء الخمسين

فحمدنا الله على بلوغ ما كان بعيدا وأخذ كل منا يتاهب ويستعد الى أن جاء يوم السبت الثالث عشر من شعبان المكرم سنة ألف وثلثمائة وتسع (١٣٠٩)

اليوم الاول

فركبنا العجلات وذهبنا الى محطة قصر النيل حيث مرسى الباخرة فركبناها (بسم الله
 مجراها ومرساها) ثم اهتزت القلوب هزة الوداع وشخصت الابصار وأصاحت الاسماع
 وأخذ كل منا يعد عدته ويصلح أهبطه ويتفقد جعبته ويعشى فى أنحاء الباخرة متأملا
 فى مواضع الجلوس ومحال الفصح متلفنا ذات اليمين وذات الشمال كى يقف على
 ما تحتوى عليه هذه السفينة من المعدات اللازمة للمسافرين وغير ذلك من المناظر
 النواضر التى يأخذ بالالباب مرآها ويدهش الابصار منبهاها محافطين على النظام
 والآداب حتى قدم علينا السرور ووافانا وافد الحبور بقدم (سعادة يعقوب باشا
 أرتين) وكيل نظارة المعارف العمومية وعزتلو (ابراهيم بك مصطفى) ناظر مدرسة دارالعلوم
 الخديوية وأخذا يوصيان بنا محافظى الارسالية وصاية الاب الشفوق بآبائنا ويوصياننا
 بالعزم والحزم وادامة الاستقامة ثم ودعانا وداعا كان له وقع فى القلوب ودهشة
 فى العقول وانصرفا بالعز واليمن والاقبال وبعد أن بلغ كل منا مأمنه واستوى على
 سطح السفينة وزعت علينا أوراق أسماء المسافرين باللغة الانكليزية فأخذنا نترجمها
 الى اللغة العربية وقلنا الآن ينبغى التعارف واحكام عرى المودة بيننا وبين جميع
 اخواننا المسافرين لما هو معلوم لدى كل متبصر أن التعارف انما هو محور تدور
 عليه رحا الحياة بل هو روح المودة وفلك سمائها وشمس ضحاها ومطية التعاون وعقد
 نظام التألف اذ به تروج المتاجر وتتقدم الصنائع وتستنهض الهمم ومامن أمة سلكت
 سبيل التواد والتعارف الا ونالت المقاصد وتوسدت المآرب وبلغت الغاية وتحصلت
 على النهاية فأخذنا نبسط أكف الآمال ونحسن فى التعارف السؤال بين أفراد
 الارسالية حتى صار الجميع كحلقة مفردة لا يدري أين طرفاها وبنت المودة على
 أساس متين

(وهالك جداولاً يشتمل على أسماء أفراد الارسالية)

جناب المستر دجلس دنلوب	رئيس الارسالية
حضرة السيد بك ييوى	كاتب أول نظارة المعارف
» محمد افندى نافع	كاتب بالديوان وترجمان جناب الرئيس
» غنيم افندى سلامه	كاتب بالديوان
» على افندى بهجت	مترجم فرنساوى بالنظاره
» الدكتور حامد افندى صدق	حكيم ثانى المعارف
» احمد افندى جدى	مدرس العلوم الرياضيه بمدرسة دارالعلوم
» احمد افندى نجيب	مدرس جغرافيا وتاريخ بالمدرسة المذكوره
» الشيخ محمد سلامه	مساعد تدريس الفقه والرياضه بالمدرسة المذكوره
» اسماعيل افندى رأفت	مدرس جغرافيا وتاريخ بالمدرسة الخديويه
» الميسوفندى	مدرس تاريخ وترجمه بالمدرسة المذكوره
» الميسوبكوس	مدرس جغرافيا وتاريخ ولغته فرنساويه بالمدرسه التوفيقيه
» محمد افندى عبد اللطيف	مدرس تاريخ وجغرافيا بالمدرسه المذكوره
» البرزید افندى فايد	مدرس اللغة الانكليزيه بالمدرسه المحمديه
» عبد المقصود افندى فهمى	مدرس اللغة الانكليزيه بمدرسة عابدين

(طلبة مدرسة دارالعلوم)

حضرة الشيخ احمد الازهرى	حضرة الشيخ عبد المجيد العباسى
» محمد المهدى	» عطيه الاشقر
» مصطفى الديباضى	» عبد العزيز خليل
» محمد اليبارى	» عبيد الشادلى
» سعيد صالح	» عبد الرحمن ابراهيم
» محمد عاطف	» مصطفى كامل

(تابع الجدول المشتمل على أسماء أفراد الإرسال)

(تلامذة المدرسة التوفيقية)

حضرة حافظ أفندي حسن
 » محمد أفندي درويش
 » محمد أفندي احمد
 » السيد أفندي الحسني
 » حسين أفندي فهمي
 » محمد أفندي ادلاور
 » زكي أفندي حاتم
 » موسى أفندي ابراهيم
 » كامل أفندي جبران
 » جورج أفندي ارمانيوس
 » فلبس أفندي قلاده
 » سبتاي أفندي صالح

(تلامذة المدرسة الخديوية)

حضرة عبد الله أفندي لطفي
 » محمد أفندي علي المغربي
 » عبد الحميد أفندي الشريفي
 » عبد الوهاب أفندي حسن
 » محمد أفندي ربيع
 » علي أفندي الكيلاني
 » احمد أفندي كامل
 » محمد أفندي رشدي
 » محمد أفندي رياض
 » علي أفندي سامي
 » محمد أفندي توفيق التبرجان

وبعد أن تم التعارف وجلسنا نتجانب أطراف الاحاديث فيما نحن بصدده نظرنا
 الى الباخرة ونظامها العجيب وترتيبها الغريب فوجدناها

سفينة قد كساها الحسن رونقه * فلن تظاهيها في وصفها السفن

يخالها الرائي قصرا مشيدا ومنزلا وطيدا قد نبت عنها مثاب الازاح وخفقت
 عليها رايات الافراح اذ نشر عليها العلم المصري علم الوطن العزيز آمنه ورعايته
 فاستوت على الماء وتمايلت ولا تمايل الحسناء

كأن لها حكما على الماء كلما * تمايل على أمواجه لان جانبه

وهي جميلة المنظر واسعة الفناء يبلغ طولها مائة وستين قدما انكليزية وعرضها
 عشرين وقوتها توازي قوة ثلثمائة حصان ومقدار ما تقطعه في الساعة الواحدة

سبعة أميال انكليزية في الذهاب وضعفها في الاياب لمقاومة التياراتها في الاول دون الثاني وقد أنشئت سنة ١٨٨٦ م

وهي مشتملة على ثلاث طبقات السفلى منها وينزل اليها بسلم تحتوى على صفين من الغرف بينهما طريق اتساعه نحو المتر في كل غرفة سريران للنوم وفي انتهاء ذلك الطريق نحو مؤخر السفينة غرفة كبيرة فيها سرير واحد (ودكة) للجلوس وغير ذلك وكان بها جناب رئيس الارسالية المستر دجلس دنلوب وهذه الطبقة جزءها السفلى في الماء

وأما الطبقة الثانية ففيها صفان من الغرف ظهور بعضها لبعض وأبوابها متضادة الجهة بعضها يشرف على البحر من اليمين والبعض الآخر من اليسار وعلى جانبي السفينة حاجز حصين بينه وبين أبواب الغرف طريق يبلغ عرضه ٠,٧٥ م (أى ثلاثة أرباع المتر) وفي مؤخر السفينة من هذه الطبقة رحبة قليلة الاتساع للجلوس وجميع هذه الغرف في مؤخر السفينة وإذا سار الانسان من الطريق الذى بين أبواب الغرف والحاجز متجها الى مقدم السفينة يصل الى رحبة هى محل جلوس الخدمة واعداد ما عليهم ويرى في انتهاء السفينة جهة اليمين واليسار مما يحدد هذه الرحبة بيوت الخلاء ومن حسننها أن (أكرتها) عند ما تغلق تظهر ككابة من الخارج باللغة الانكليزية تدل على أن هذا المحل مشغول فاذا خرج من به وفتحت الاكوة ظهرت ككابة أخرى تدل على خلوه ويجوار هذه المحال حمامات على أتم انتظام كل منها عبارة عن غرفة فيها حوض عظيم من الصاج فيه ثلاث فتحات احداها لتوصيل الماء الى هذا الحوض بواسطة الآلة البخارية والثانية لتفريغه منه في البحر والثالثة يأقى منها البخار لتسخينه

ويحدد هذه الرحبة من الامام الآلة البخارية ووراء هذه الآلة المطبخ وما يتبعه ومن الخلف حائط الغرف الذى فيه جرس ونمر أجراس الغرف ومن اليمين واليسار بيوت الخلاء والحمامات وأما الطبقة الثالثة فيصعد لها بسلمين أحدهما في رحبة

الخدم مما يلى الآلة البخارية والثانى فى الرحبة التى فى مؤخر السفينة وغرف هذه الطبقة كالتى تحتها وفى كل غرفة من تلك الغرف مرآة ودواليب (خراطات) وأبريق أو اثنان من الصينى لكل ابريق طبق كبير منه لغسل الوجه وقد كنا نستعمل ذلك فى الوضوء وقرص صغير فى الحائط مما يلى الباب يضغط الانسان عليه قليلا فيضرب الجرس الكهربائى الذى فى رحبة الخدم وتهتز غرة الغرفة التى طاب الخدم بها ويوجد فوق الرحبتين اللتين فى الطبقة الوسطى رحبتان فيهـ ما كثير من الكراسى والمقاعد وفوق الآلة البخارية غرفة الاكل

وتوفد السفينة ليلا بالنور الكهربائى ويطفا قبل نصف الليل بساعة وجله ما يقال فيها انها باخرة على أتم ما يكون من الترتيب والاستعداد الذى يعده العاقل دليلا على براعة صانعيها على أنها أحسن بواخر المسترجون كوكب النيل ولما حان وقت الرحيل أخذت السفينة تنعب بصغيرها إيذانا بالمسير وعلانا بالوداع فودعنا من رافقنا من الاصحاب الى هذا المكان وأخذت السفينة تتحالت فى مشيتها تميل طورا يمنة وتارة يسرة ونحن نشد

ودع حب التقاعد والتوانى * فذلك لم يشد الا ضلالا

ولولا الكون بالافلاك يجرى * لما انتظر الجماهير الهللا

وكنا نشاهد مبانى القاهرة من الجهة الشرقية للنيل ولها من المناظر الجميلة ما يشرح الصدور ويستوجب السرور الى أن صرنا بين مدينة الجيزة وجزيرة الروضة الغنيتين عن الوصف فأخذنا نتره الطرف فى مناظرهما تين البلدين فانهما تروق الناظر وتشرح الخاطر وبعد أن وارانا السير عنهما مررنا على بلدة توجد على الشاطئ الغربى تسمى بجزيرة الذهب وهى صغيرة تابعة لمديرية الجيزة وتجاهاها فى وسط البحر جزيرة متسعة الاطراف خصبة تدعى أيضا بجزيرة الذهب تسميتها لها باسم البلدة السابقة وهى محل معتدل الهواء موافق للصحة وبعد أن سترها البعد عنا أخذنا نشاهد اللجج والامواج فكانت تغد منقضة على الشاطئ ثم تكرر اجمعة كما قيل

انظر الى النيل فى أمواجه عجب * يأتى الى الشط أحيانا وينعطف
 كأنه ملك تسعى الجيوش له * تقبل الارض طوعا ثم تنصرف
 وكانت ضفاف النيل مزدانة بأنواع النبات التى يسر العين مرآها ويشرح الصدر
 حسن تلونها كأن لسان حالها يقول

جميل الطرف يصرفنى * بعين زانها النور
 فأغدومنه مبتسما * ويغدو وهو مسرور

فمن حلة خضراء كالزبرجد وزرقاء كالفيروزج وعقود أزهار قد تظمت جواهرها
 فى أجساد الغصون وجداول تسایل بلجين يروق الابصار ونبات سافه متجمل بالاخضرار
 ونسيم يهب على تلك الاشجار وورق تصدح بأرق من نغمات الاوتار والنيل قد ستر
 تلك المناظر بجلعة كسائه ورواها بغير مائه

نهر يهيم بحسنه من لم يهيم * ويجمد فيه الشعر من لم يشعر
 فكأنه وكان خضرة شطه * سيف يسل على بساط أخضر

وما زلنا كذلك حتى أتى وقت الغداء فبسطت لنا خمس موائد على أتم نظام فى قاعة
 متسعة فى الدور الاعلى من الباخرة كل مائدة منها يجلس عليها عشرة وكان الأكل
 على أحسن ما يكون من الترتيب وملائمة الذوق ثم رست السفينة بنا على قرية
 البدرشين وهى وميت رهينه وسقارة واحة على الشاطئ الغربى للنيل تابعة لمديرية
 الجيزة وأقربها الى النيل البدرشين والى الجبل سقاره وهذه البلاد الآن زراعية
 والبدرشين سوق عظيم أسبوعى تباع فيه الماشية وغيرها ومعظم مبانيها من اللبن
 وبها نخيل كثير وأرضها جيدة النبات وزراعة القطن بها قليلة ليست مثلها
 فى الوجه البحرى وغالب أرضها ذو طمى ممتزج بالرمال ولذلك تنبت نباتا حسنا
 ومياه النيل عند فيضانه تغطى طبقة عظيمة من الارض تمتد الى ابتداء الجبل الغربى
 وهذه القرى الثلاث مؤسسة على اطلال مدينة منف التى تسمى منف ومعناها
 البلد الطيب وكانت شيدت على الشاطئ الايسر للنيل على مقربة من رأس الدلتا

البدرشين
 - (منف)

ومؤسسها منا أومئيس أول ملوك المصريين حسبما دلت عليه السير والآثار وكانت تلك المدينة فى غاية من العمران والاتساع فقد كان عدد أهلها سبعمئة ألف ومساحتها ثلاثين ميلا مربعة كلها بيوت متلاصقة وكان فيها من الآثار والاصنام والمجائب والدقائق ما أدهش المؤرخين وكان بها بيت فرعون الذى كان قطعة واحدة من الحجر وسقفه وفرشه وحيطانه من الحجر الأخضر ولم يبق له الآن أثر يذكر وكان بها سبعون بابا وكانت منزل الملوك من القبط الأولى والعاليق ومسكن الفراعنة وفى مدة العائلة السادسة فقدت ما كان لها من السلطة أيام الملك منا لان التفت كان نقل الى مدينة ابيدوس التى بقيت آثارها حتى الآن وتسمى بالعرابة المدفونة وسنأتى على ذكرها ان شاء الله تعالى وكانت الانهار تجري فيها من تحت سرير الملك وعددها أربعة وكان فيها قبة فيها صور ملوك الدنيا وكانت كثيرة الجنود والعساكر ولهم أصول تحملهم على الشجاعة فكان العسكرى الذى يظهر الشجاعة يعطى علامة الشرف والذى يفر من الزحف يوسم بعلامة المهنة والذل بحيث تكون ظاهرة فيه وكانت لهم مجالس قضائية عدلية مؤلفة من ثلاثين قاضيا ومجالس شورى بمنف وعين شمس وطيبه وكانوا يجلدون الزانى ألف جلدة ويجددون أنف الزانية والذى لا يخلص المقتول من يد القاتل بلا عذر فجزأؤه القتل وكان الدائن لا يتسلط على ذات المدين بل على ماله وكانت قوانينهم تدل على الحث على العمل وقطع عروق البطالة وكانوا يتفحصون فى آخر كل سنة أحوال كل فرد من الافراد فيسألون مم يعيش وهل معيشته من وجه حلال أو حرام فان كانت من حرام فجزأؤه القتل وكانت مملكتهم فى تلك الايام عادلة مستقيمة بالمعارف وكانت معاملة الخدمة بالحسنى وكان لفرعون يوسف فى كل سنة عيد عظيم يصنع لمولده كما هو جار اليوم فى الممالك المتقدمة وكل هذا يدل على ارتقاء درجة التمدن (التمدن) وطول مدته فى مصر قديما فليس التمدن خاصا بالازمان الاخيرة وانما ذوقياته مختلفة بما يلائم الطباع هذا وقد درست آثار تلك المدينة ولم يبق منها الآن الا بعض هياكل وبقايا يستدل بها على ما كان لسكانها

من العظمة والقوة ويوجد على تلك البقايا لفظ (من نفر) أى المسكن الجميل و(انبحث) أى المدينة الحصينة البيضاء ولعل المراد بها القلعة التى ذكرها مشاهير المؤرخين وكان بها معبودان الاول افتاح أى النتاح ولقبه عند قدماء المصريين منظم الكون ويرسمونه على الآثار تارة متوجا بتاج الجعل (الجعران) واطئا بإرجله تمساحا إشارة الى الانقلاب والتغير وتارة على شكل قوقعة مطلقة اليدين ويعنون بذلك الرمز استحالة الروح بعد خروجها من الجسد الى نور يصعد نحو السماء وينضم الى نور الشمس ويوجد أيضا على تلك البقايا ما يلفظ به هكذا (حت فتاح كا) ومعناه هيكل فتاح معبودهم وهذا الهيكل اعتق كثير من الملوك بتزيينه وزخرفته وقد نهبه الهيكوس مدة استيلائهم على هذه البلاد والمعبود الثانى هو (سحت) أى حرارة الشمس المهلكة ويقال انها منوطة بعقاب المخطئين ورسمها على شكل آدمى له وجه سبع وعلى رأسه صورة الشمس

واستمرت هذه المدينة قاعدة للملك مدة سبعين قرنا

وقد استولى على هذه المدينة (اسار هاردون) و(أسوربانيبال) من ملوك آسيا وخرّبها قبيل ملك الفرس وقتل ولائها وحكامها وكهنة هيكل معبودهم أبيس وبعد أن أسست مدينة الاسكندرية فقدت منفيس ما كان لها من القوة والعظمة حتى صارت تعد من نقائس بلدان مصر وفى مدة حكم تبودوسياس أمر بتخريب هياكلها وعمارتها فاصبحت يابا بعد أن كانت مزدانة بالقصور والمباني الفاخرة

ثم امتطينا الجير وكانت عدتها خمسين مستحضرة من طرف المسترجون وسرنا قاصدين ميت رهينه التى شب فيها سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ولم نزل نحث المطايا حتى وافيناها من الجنوب الغربى واذا بتمثال هائل من الحجر الاسوانى يشبه الهضبة العظيمة تنقسم فيه ابهة الملك فهرولنا اليه واذا به تمثال رمسيس الثانى فأخذ كل منا يستطلع أجزائه ورأسه جهة الجنوب ورجلاه للشمال وله تاجان أحدهما كما يقول علماء الآثار يدل على ملكه للوجه البحرى

تمثال
رمسيس
الأكبر

والآخر للقبلى واحدى رجلية مرفوعة عن الأخرى وقد اعبت بصورة صروف
 الدهر وغيرت بهجته فترى رجلية مهشومتين من الفخذين وعلى نخذه الايمن صورة
 بته وعلى جنبه الايسر صورة زوجته وطوله من رأسه الى قدمه يبلغ عشرة
 أمتار وعرضه مترو نصف والذي استكشفه (كاجليار الانكليزى) سنة ١٨٢٠
 ميلاديه وكان قصده نقله الى متحف الآثار بلندن ولثقل جسمه غادره مطروحا
 فى الطريق الموصول لميت رهينه ويتوالى الايام صار معظمه مغطى بطمى النيل
 وفى مدة الفيضان كان يغمر معظمه بالمياه ثم فى فصل الشتاء من سنة ١٨٨٦ الى سنة
 ١٨٨٧ م جمع أحد الانكليز المسمى (فريدريك) مبلغا وافرا من النقود بقصد رفعه
 من محله المنخفض والذي تم رفعه البكاش (ارثور باجونولد)

واسان حاله عبرة لمن جلس على بساط الغرور وأمن مكاييد الدهور فهو يقول للزائر
 لا يغرنك رغد العيش ونفوذ الكلمة وبعد الصيت فتذكر كن الى غير العدالة
 والقسطاس المستقيم فلا بد أن ينفذ الاجل والناس دول وتذهب الابهة أدراج
 الرياح ولكل أجل كتاب وكل شئ صائر للزوال وان التاريخ لك بالمرصاد يضبط
 عنك الدقية والذرة من الاعمال فتذكر رويدا أيها المسترشد هل ترضى لنفسك
 أن تسود وجه تاريخك فتكون مثلا فى الغابرين وهدفا لسهام المتقدين أظنك
 والعاقل بصير تختار غير هذا فما عليك اذا نهجت الصراط السوى وخلدت لك
 الذكر الحسن والثناء الجميل والاثرا النافع فتكون ممن

ردت صنائعه اليه حياته * فكأنه من نشرها منشور

هذا وعلى مقربة منه صخرة ارتفاعها نحو مترين ونصف وعليها صورتا الهين وقصيدة
 بالبرياني دالة على مدح مؤسس ميت رهينه وهذه الاسطر داخله فى الصخرة
 قال بعض من معنا من الافاضل ان كل كتابة داخله تدل على أنها من أعمال مابعد

العائلة الحادية عشرة ثم مشينا على الارجل قليلا واذا بتمثال آخر للملك المذكور
 وهو محاط ببناء من اللبن وعلى رأسه تاج للوجه الجرى فقط وهو مرتفع على
 (تمثال آخر
 لرئيس
 الاسكندر)

دعامتين رأسه للغرب ورجلاه للشرق ملقى على ظهره وهو من الحجر الجيري وعلى صدره نقوش تدل على اسمه واسم الهة معناها رمسيس محبوب (امن رع) وفي عنقه ابة تشبه ما كان يصنعه كهنة الاسرائيليين ولعل هذا دليل على أنه كان صاحب السلطة السياسية والدينية وفي مقدمه جسم ثعبان عظيم ولعل هذا اشارة الى خطر الملك وأن معالى الامور مقترنة بشدائدها ويقال ان صورة الثعبان دالة على معبوده وهو ما حكاه كثير من الاثريين ولا غرابة فيه وذلك أنهم كانوا اذا رأوا الحيوان يأكل ما يضر بصالحهم اعتقدوا أنه ملهم هذا الامر لصالحهم والشفقة عليهم فكانت العوام تعبدوه ومستنبروا الفكر يعظمونه بل كان ماعدا أرباب الفكر العالى منهم يعبدون كل مخترع وآت بنافع فنان سمعه عنهم من عبادتهم ملوكهم آت من مغالاتهم في تعظيمهم وبعضهم كان يعتقد أن الثعبان وصلة لاله الشر فكانوا يعظمونه خوفا من الهه وانا وقد استنارت العقول وانجباب حجاب الجهل قد نشاهد من العوام عند زيارة أضرحة الاولياء ما يقرب من هذه المغالاة وهى أعمال نهانا الشارع صلى الله عليه وسلم عن قربانها وهى باقية فينا بحكم الوراثة بقيت من قرون تعد بالعشرات الى هذا الجيل ولم يدمرها انتشار الشريعة السمحة والصورة الاولى كانت موضوعة أمام هيكل الاله فتاح السابق ورمسيس المذكور من ملوك العائلة الثامنة عشرة صاحبة الشهرة والصيت وله تماثيل كثيرة منتشرة في أنحاء القطر قالوا ولو عاش مائتى سنة ما أمكنه أن يصنع هذه التماثيل وانما كان من عادته أن يسمع أسماء الملوك ويجعل اسمه مكانها حبا في الشهرة وقد صرح بذلك هو في بعض كتاباته

ومما أعجبنا أن وجه الصورة الغريبة تظهر عليه سيما الحلم والاعتبار وهى متناسبة الشكل حتى لو وضعت نسبة بين جثته ورأسه لوجدتها كالنسبة بين اصبع مولود وجثته وهذا يدل على المهارة في فن النحت والتصوير الذى شهدت لهم به الامم وقد استغرقت المشاهدة منا نحو نصف ساعة ولعمري الحق ان قدماء المصريين كان

لديهم من الاحساس مايدحون عليه اذ أقامتهم هذين التمثالين لهذا الملك العظيم وعدم تكسيرهما بعد موته دليل على أن أفعاله العظيمة أثرت في حواسهم فعشقتهم جوارحهم فأقاموا له تماثيل عظيمين تذكرا له ومكافأة على فعله من الاعمال الحميدة وتحريضا لمن أتى بعده من الملوك وغيرهم على أن يسلكوا الخطة الممدوحة والطريق المستقيم ويضعل ذلك الامم المتقدمة الآن فهذه أمتنا المصرية قد أقامت للرحوم ابراهيم باشا تماثلا عظيما بميدان الازبكية أمام صندوق الدين القديم تذكرا لهذا الهمام الجليل الذي فعل أفعالا عادت عليه وعلى جميع الامة المصرية بالفخر فاستوجب الثناء من العقلاء وتماثلا آخر لؤسس العائلة العلوية وهو الملك الحازم محمد علي باشا بميدان المنشيه في مدينة الاسكندرية وان هذا الرجل لجدير بان يفخر العالم الانساني عموما بأفعاله وأعماله الغنية عن الاسهاب وتلك الامة الانكليزية أقامت أيضا تماثلا للبشرون وكذلك الامة الفرنساوية صنعت تماثلا لتيرس والتليانية لكافور وكذا كل من قام بما عاد على وطنه بالخير والسعادة الدائمتين فترى أهل وطنه يحافظون على بقاء صورة ذلك الرجل الجليل وتلك حلية تحلت بها الامم المتقدمة وهي من عادات السلف التي يفخر بالمحافظة عليها الخلف

ثم حركنا الركاب مغربين نحو بقية الآثار خلف سقاره التي يظن أن اسمها مشتق من اسم اله مصرى يسمى (سيكر) وكانت مقبرة لقدماء مصر ويبلغ طولها أربعة أميال ونصف وعرضها ميلا واحدا ثم ارتقينا الجبل ونحن بين آكام ترفعنا ووهاد تسترنا والرمال هنالك من أعجب العجب وهي في الوهاد كالمياه في البحيرات ترى خطوط الرمل متعرجة نسجتها أيدي الرياح كما تنسج الامواج على سطح البحر بأشكال بديعة وكنا نعد ما قالته العرب في الرمال من خزعبلاتهم فاصبنا ونحن نستصغر ما قالوه فيها وأنشد لسان الحال

لا توجهه للانتقاد سهاما * قبل علم لما عساه يكون

وانتهج منهمج المدقق دوما * وتحقق فللظنون مجون

وبينما نحن نسرح النظر في بحيرات الرمل ونجعل وصف المياه في مجاريها للرمال
 في مهاوئها اذ ظهر لنا هرم مدرج قد عبت به أيدي الزمان وأصابته سهام
 الحدثان ويظن أن مؤسسه الملك الرابع من العائلة الاولى التي حكمت ٣٠٥ سنين
 (الهرم المدرج)
 وكان حكمها قبل الهجرة بنحو ٥٦٢٦ سنة

وقد سمى ما يتون هذا الملك (بنفن) واسمه بلغة ابي دوس (آنا) وفي عصره حصلت
 مجاعة عظيمة وسمى الهرم بذلك لتركبه من ست درجات سفلاها مستوية بالتراب
 وارتفاع تلك الدرجات على التوالي ٣٨ , ٣٦ , ٥ , ٣٤ , ٣٢ , ٣١ , ٢٩,٥ قدما
 وطول قاعدته من الغرب الى الشرق ٣٩٦ قدما انكليزية وعرضه ٣٥٢ وارتفاعه
 ١٩٧ وكان يرى من بعد قليل الارتفاع حتى اذا سترنا ظله عن أشعة الشمس فاذا
 هو يعانق السحاب فكان الواحد منا اذا أراد أن يرى قمته وضع يده على رأسه مخافة
 سقوط ما عليها وهو أقدم هرم بنى في مصر وبنائه غريب جدا وذلك أنهم صقلوا
 حجارتهم صقلا تاما حتى صارت أسطحها مستوية جدا فاذا وضعوا قطعة على أخرى
 التصقت بها أشد من التصاقهما بمادة أخرى لعدم تخلل الهواء فيما بينهما حتى
 يعادل ضغط الهواء من الخارج فلا يمكن فصلهما الا بعسر وربما احتيج في فصلهما
 الى آلة وذلك مما يشير الى أن العلوم الطبيعية قديمة جدا ليست بالحديثة العهد
 كما وهم في ذلك من وهم اذ لابد أن يكون هذا الهرم عمل رجال برعوا في المعارف
 خصوصا الرياضيات والطبيعات وشكل هذا الهرم مستطيل وجوانبه ليست مقابلة
 للنقط الاصلية بل زواياها موجهة الى مهاب الرياح حتى لا يتسنى لها الضغط الذي
 ربما أدخل بالبناء في زمن قصير وهو مشيد من حجر جيري وبعمر الزمنية وبوالى
 الدهور وهنت جوانبه ونهدم كثير من بنائه

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنين

مان البناء اذا تعاضم شأنه * أضحى يترجم عن عظيم الشأن

ولما بارحنا الهرم المدرج قليلا وصلنا بيت مرييت باشا الفرنساوى ناظر متحف الآثار المصرية سابقا وهو مبنى باللبن وعلى حدائه قد ضرب البلى عليه خيامه جلسنا للاستريح ونشرف الآذان بسماع ما يخص الآثار الآتية من الاخبار وكان هذا الرجل اتخذ ذلك البيت حين كان يتفحص الآثار هناك على مصاريف الحكومة حرسها الله تعالى وذلك الرجل قد بذل كل عنايته فى استكشاف الآثار بقصد ترقى التاريخ القديم وقد حصل من ذلك على حظ وافر ونرجو أن يبقى البيت الذى اتخذه هو وعمله مسكنا عند مكابدتهم الاشغال الاثرية ليكون تذكارا لذلك الرجل الذى شكره التاريخ وهو الآن خلى من السكان وفى رحبته صورة حديثة على هيئة أبى الهول وهى صغيرة فى قامة الكلب

(مدفن
العجول)

وبعد مضى نحو ثلاث ساعة سرنا راجلين قاصدين مدفن العجول المعروف باسم سرايوم وهو يشتمل على جميع مدافن العجول التى وجدت فى منفيس ويقول المصريون ان أم العجل تلده بسبب سقوط صقر عليها من السماء وأما هى فى نفسها فقير صالحة لتتناسل وسيأتى وصف العجل وكان ذلك المحل مسورا بكافى المباني المصرية وكان على جانبي مدخله عشرة تماثيل لأبى الهول (أبو الهول تمال سبع وجهه وجه امرأة) واستكشف المدفن المذكور المسبو مارييت باشا سنة ١٢٦٨ هجرية الموافقة لسنة ١٨٥٠ م وكان سبب ذلك أنه عثر على صورة لأبى الهول مكتوب عليها أوزدريش انيس فاستنتج أنها نقلت من هناك فأسرع فى البحث والحفر وعمل غاية مجهوده حتى أوقعته أتعابه على صور لأبى الهول مكونة لشارع وعلى أحد عشر تماثلا من فلاسفة اليونان وعلى مقابر العجول الى أن وصلنا مضيقا نازلا فى الارض والرمال منهمة فيه كالسيول عند انسيابها من قم الجبال فنزلناه ولما وصلنا الباب تناولنا الشموع ودخلنا منعطفين ذات اليمين فاذا هو مستطيل وسقفه مرتفع محدب وجميعه نقر فى الجبل وعلى يمين ويسار المار توجد شمال بكل منها تابوت من صخر الجرانيت الازرق طوله متران وعرضه متر ونصف كان معدا لوضع ما يموت من

المجول التي كانت تعبد لديهم وهذا التابوت مصقول من الخارج والداخل مزين بالنقوش العجيبة من الخارج وبعضها يوجد عليه غطاء من جنسه وعدد التوابيت الموجودة هناك ٢٣ وفيه عطفات أخرى خالية من التوابيت ويؤخذ من نقوش القبور أنها وجدت في أزمان مختلفة وأن أقدمها من مدة حكم امينوفيس الثالث قبل المسيح بالف وخمسة سبعة وكان لاستكشاف تلك القبور أهمية عظيمة لما وجد على جدرانها من الآثار التاريخية الكثيرة المقيمة حتى فتحت بابا واسعا للدخول في التاريخ المصري وذلك أن جداولها الصغيرة بين السنين والاشهر والايام لحكم الملك الذي في مدته ولدت وتوفيت تلك المجول ولم يزل أربعة وعشرون قبرا في مواضعها وأبعادها الثلاثة بالقدم ١٣ و ١١ و ٨ وليست المجول الآن في توابيتها لان الرومانيين حين استيلائهم على الاقليم المصري أحرقوها وقال بعض من نشق به ان مريت باشا المتقدم حين استكشافه هذا الاثر وجد بعض المجول فاودعها متحف الآثار المصرية وكانت العبادة لنوع خاص من المجول البقرية وهو ان يكون أسود اللون في جبهته غرة بيضاء وعلى لسانه شعيرات تشبه العمل (الجمران) وكان هذا الصنف نادر الوجود في البلاد المصرية حتى انه لم يكن متيسرا لهم في كل الاوقات بل ربما مات ما عبدوه وبالبحت لم يجدوا آخر فيه الشروط السابقة فيمكنون لابسى الحداد مقيمي الاحزان حتى يجدوا آخر هذه الصفة

ولا غرابة في عكوفهم على عبادة العجل لما أسلفنا من أنهم كانوا يقدسون كل حيوان نافع والعجل هو الحيوان المهم لديهم في ذلك الوقت الذي لم يوجد فيه حيوان مثله يعتمدون عليه في أشغالهم فانهم كانوا يحرقون عليه الارض ويحملون عليه الانتقال ولم يكن يوجد في ذلك الوقت حيوان يقوم مقامه

ثم ركبنا المطايا قاصدين مدفن (تي) رئيس كهنة العائلة الخامسة وقد حاز في زمنه درجات الفضل العالية وذلك انه كان عضوا في المجلس الملوكي مراقبا للأعمال وكاتب المجلس وكاتم أسرار الملك الى غير ذلك وكان من عائلة حقيرة فاختبره أحد

(مدفن رئيس
كهنة العائلة
الخامسة)

الملوك فوجده حازما صدوقا ذا أفكار سامية فارتاح اليه كثيرا وأهداه الى احدى
أميرات العائلة الملوكية المسماة (نفر) ليكون قرينا لها وقد رقى كثيرا من المناصب
مدة حكم (كاسع) و(زورن رع) من العائلة الخامسة والقبر المذكور مغطى الآن
بالرمال مع أنه كان ظاهرا على وجه الارض فلم يضر ربع ساعة حتى وصلناه وهو
موضوع في الشمال الشرقي من مدفن النجول وقد بنى قبل المسيح بنحو ٣٥٠٠ سنة
فدخلناه من مضيق بين حائطين من الحجر الجيري كلاهما محلى بالصور الغريبة وكنا
نظن حين اطلعنا عليهما أن الحكومة صنعتما حديثا لاطلاوة التي تعلمهما فلما
علمنا أنهما قديمان أخذ منا العجب مأخذه وقال لسان الحال

أظن أن العالم لم * يك من قديم الا عصر

هذي الرسوم تريك ما * يخفى عليك فأقصر

هذا والناس كلما رأوا غريبة انما زوا اليها واستفسروا ذوى الراى عنها وألوان
النقوش زاهية كأنها لم تكثر بمر الزمان ولا تعاقب الحدان حتى انتهينا الى باب
المدفن واذا بوجهته قد تحلت من أعلاها بصورق هذا السكاهن وزوجته وكانت
من بنات الملوك أرباب الشهرة والديت ثم أوقدنا الشموع لزيادة الوضوح ودخلنا
فاذا الذى وأيناه من قبل من الرسوم والتماوير لا يعد شيأ فى جنب ما رأيناه فى
الداخل وانا نذكره ملتمسين للقلم جانباً من المذرة اذ لم يستطع أن يوفى بحقيقة
الوصف فنقول

هو محل مستطيل الشكل متناسب الوضع قائم سقفه على عمودين وحيطانه الاربع
محلاة بصور بديعة الوضع جميلة الصنع وكلها دالة على أحوال المعيشة من صناعة
وتجارة وفلاحة وخدمة وعيد وأعياد ومواسم الى غير ذلك فترى الصانع على
اختلاف أنواعهم والاسماء فى النيل على تباين الاجناس وتغاير الاشكال والغادات
تحمل الفاكهة فى آنية تشبه الاوانى المستعملة عندنا لذلك (السبت أو المشنة) ومنهن
من يحملن المشروبات والرعايا تزدلف بالهدايا وترى فى بعض الجهات الحروب قائمة

على ساقها وفيهم الطاعن والشارد والصريع والصارع وهذا ينسج والآخريذرى
الحب في ييدره وذلك يصطاد والآخريحرت الارض ومنهم من هو خاص بخدمة
هذا الكاهن وتقديم الادوات المنزلية اليه وفيهم الشيوخ والشبان ومنهم الجاني على
ركبتيه والمطاطي رأسه الى غير ذلك وفي منتهى الجهة المقابلة للباب على يمين
الداخل صخرة مرتفعة نحو ثلث متر كانت تذبح عليها القرابين وقريب منها الى
جهة الباب محل يشبه المحراب يسمونه بجعل الستارة وهو في غاية اللطافة كأنه بنى يوم
دخلناه ولقد أذكرنا هذا المنظر العجيب قول بعض الاندلسيين لللك الناصر حينما بنى
الزهراء وأعجب بها

يا باني الزهراء مستغفرًا * أوقانه فيها أما تمهل

لله ما أحسنها رونقا * لولم تكن زهرتها تذبل

فقلنا يا للعجب كأن الشاعر عني بكلامه هذا الزهراء وما شاكلها على أن هذا أقدم
منها بألاف من السنين مع أنه قد أخذ زخرفته الآن وازين

وفي الحائط المقابل للباب فتحة مستطيلة قاعدتها نحو خمسة ديسيمترات مربعة
وارتفاعها نحو ديسيمترين مرتفعة عن الارض نحو قامة توصل الى المحل المدفون
فيه الكاهن (ق) المذكور وكان من عقائدهم أن الميت يتغذى ويسمع ويرى فكانوا
يرفعون اليه الشكاوى ويقدمون اليه الخبز بقذفه من هذه الفوهة وهذه العوائد
لم تزل مستحكمة في بعض الجهات الآن بل ما شاهدته من العادات الحالية أغرب
من هذا عن المتقدمين ويظهر من هذا أن جرثومة العادات باقية في الطبائع تتوارثها
الابناء عن الآباء جيلا بعد جيل غير انها تحسن بعض الحسن بازدياد المعلومات
وتكسر حداثتها باستنارة الافكار

وما هذه الاخلاق الاعوائد * فنهت محمود ومنها مذموم

(هرم أوناس) وبعد أن قضينا العجب مما شاهدناه بارحناه ونحونا هرم أوناس ويسمى باللسان
المصرى القديم (نفرعو) وهو موضوع في الجنوب الشرقى من الهرم المدرج وقد

فتحته وطهره المسيو ماسيرو على مصاريق الخواجه كوك سنة ١٨٨١ ويبلغ ارتفاعه اثنتين وستين قدما وطول أضلاع قاعدته مائتين وعشرين قدما فشيننا قليلا ثم صعدنا على أكمة هو فوقها فاذا بناؤه قد عمل فيه الزمان وهو قليل الارتفاع تظهر عليه الكتابة كأنه كوم حجارة من أنقاض بناء قديم فقلنا وهل هذا مما يقصده السياحون ولم يتمكن هذا الخاطر من قلبنا حتى أدركنا بابا وانا هو في الارض بميل عظيم فدخلنا في سرداب طويل سقفه مرتفع قليلا فشيننا فيه محدود بين فلما انتهينا الى الداخل وجدنا فيه ثلاث قاعات بعضها موشى الجدران والبعض عاقل وقد وجدنا هناك قبرا من رخام أسود مغطى بغطاء وفي داخله عظام جثة (أوناس) وهو آخر ملوك العائلة الخامسة وقد حكم ثلاثين سنة وهذه القاعات متداخل بعضها في بعض ولبعد عمق الهيكل وضيقه من الداخل تخلخل الهواء قليلا فاضطر الناس للخروج فلما انتشقوا الهواء سرى عنهم ما ألم بهم وكأئنا نشطوا من عقاب وهناك آثار لم نرها وهي

(هرم تتا) موضوع في الشمال الشرقى من الهرم المدرج وفتح سنة ١٨٨١ و (تتا) (هرم تتا) أول ملوك العائلة السادسة وحكم خمسين سنة وقتله أحد حرسه والعرب القاطنون هناك يسمونه هرم السجين لاعتقادهم أنه بنى بجناز سجين سيدنا يوسف الصديق على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام ويبلغ ارتفاعه ٥٩ قدما وطول أضلاع قاعدته ٢١٠ أقدام ووسطه قته ٥٠ قدما وبينه وبين هرم أوناس مشابهة تامة في وضع البيوت (القاعات) والمجازات وترتيب مشتملاته من نقوش وألوان مزخرفة وقد تكسر هذا الهرم في الايام السالفة وعيث بجائطي قاعة القبر القوم الذين كانوا يبحثون عن الكنوز والامتنعة داخلها

هرم بيبس الاول

هو موضوع في الشمال الشرقى من الهرم المدرج وأحد الاهرام الاصلية بسقاره وارتفاعه ٤٠ قدما ومحيط أضلاع قاعدته ٢٧٠ قدما ويسميه أهل تلك الجهة هرم

الشيخ أبى منصور وقد فتح سنة ١٨٨٠ وهو يشبه هرم أوناس وتما غير أن هناك فرقا قليلا فى الزخرفة وهو أكثر تخربا من جميع تلك الاهرام وذلك انه بنى باحجار القبور القديمة العهد جدا بالاضافة الى زمنه وقد كسر القبر الجرانيتى لاستخراج الجثة ووجدت العظام ملقاة حوله على الارض وغطاء التابوت وجد أيضا مكسرا بجانبه ووجد فى قاعدة القبر صندوق جرانيتى ورداد صغير ملائ باوان من الرخام والذئوش التى على جدره دالة على طبيعة الافليم كاتى على هرمى أوناس وتما وقد رأى بعض الباحثين أن الهرم المذكور اخنلسه شخص يسمى بى متأخر جدا عن زمن العائلة السادسة واسم هذا الهرم باللسان المصرى القديم كاسم مدينة منفيس (منفر) وكان قد خصص له عدة كهنة وقسوس هذا ويس الاول هو الملك الثانى للعائلة السادسة وحكم ثلاثا وخمسين سنة وامتدت سلطنته على مصر بأسرها وحارب أهالى شبه جزيرة سيناء ويقال انه أقام مثله فى هيليبوليس (المطرية) وأنه أحد واضعى أساس هيكل دندره الشهير ونجاحه فى الحروب وشهرته بالفتوح بسبب نباهة ومهارة رئيس ضباطه المسمى أوتا الذى قد ظفر بهاجى مصر مرارا من جهة حدودها البحرية والشرقية وهناك قبر (بتاح حنب) على مقربة من بيت مارييت باشا وكان صاحب القبر المذكور رئيس كهنة القرن الخامس

ثم نزلنا الائمة وسرنا نقصد الباخرة بشاطئ البدرشين وبارحنا

ديارا عليها من بشاشة أهلها * بقايا تسر النفس انسا ومنظرا

تسر طوراً ثم تشجيك تارة * فترتاح تأنيسا وتشجى تذكرا

وقطعنا عمر الطريق فى مفاهات عجيب الآثار وما دار فى الاعصار هذا وكنا نعمل فكرنا فى السبب الذى سهل لهؤلاء الناس تشييد هذه الآثار الهائلة التى تقصر دونها أضخم دولة الآن على ظهر المعمورة فلاح لنا أنه لابد من أن يكون السبب هو تمام الانقياد للملك واعتقاد الرعايا من جهة الدين أن الملك هو الضار النافع وأن مخالفة أمره فى شئ هو الشقاء الابدى وموافقته هو النعيم السرمدى فاذا تنساق

الكافة بسائق الدين وهو أقوى وازرع والواسطة في هذا كله الكهنة الماهرون الذين استأثروا القلوب وقبضوا على زمام الافكار يحولونها الى حيث شاؤوا ومما يؤيد هذا أنهم كما تقدم كانوا يؤلهون كل مخترع لقانون أو علم أو فن وكانت العلوم سرية مخفية عن العوام خاصة بحكمتهم وأمناء ديانتهم وكانت رموزا بينهم فهؤلاء العوام عند ما يرون الامر الغريب الذي لا يدرون طريق مأخذه لا يسعهم الا عبادة فاعله لا اعتقادهم أن ييده تصريف الامور بقلبها كيف شاء فينقادون له انقياد العبودية فالكهنة في ذلك الزمن هم الذين كان بيدهم ملك الامر

وسبب جعل مدخل الاهرام ضيق المسلك متحدرا قليل الارتفاع أمور منها أنه يمكنهم اخفاؤه بسهولة حيث أرادوا ذلك ومنها أن المدفون به ملك كان يعظم في حياته بالامناء له القريب من الركوع فكذاك يكون الحال بعد وفاته لمن أراد الدخول عليه ثم وصلنا السفينة بعد أن هرم النهار وأخذت الزيارة من الزمن أربع ساعات وتحركت الباخرة في الساعة الخامسة بعد الظهر وما زالت تشق عباب النهر ونحن نتره الطرف في المناظر العجيبة حتى جاء المساء وحاذينا قرية العياط فرست بنا الباخرة بقصد المبيت بهذه الجهة

وفي الساعة السادسة صباحا من يوم الاحد الرابع عشر من شعبان سنة ١٣٠٩ (اليوم الثاني) سارت بنا السفينة وكانت الريح شديدة في هذا اليوم حتى علا النهار وصرنا تجاه بلدة ميدوم التي في الشاطئ الغربي للنيل وشاهدنا هناك على بعد عظيم هرم ميدوم وتسميه العرب هناك الهرم الكذاب ويظهر أن عدم مشابهته للاهرام الاخرى سبب لهذه التسمية وقيل ان الذي بناه هو الملك (سنفرد) أول ملوك العائلة الرابعة ولكن لم يطلع الباحثون على أدنى اشارة تدل على ذلك ويبلغ ارتفاع ذلك الهرم نحو ١١٥ قدما ويشتمل على ثلاث درجات ارتفاع أولاهما ٧٠ قدما والثانية ٢٠ قدما والثالثة ٢٥ ولم يتم وججده من الجبل المقطم والمدخل في الجهة الشمالية ولما فتح حديثا وجدت قاعات القبر خالية ويظهر من هذا انه فتح في الازمان السالفة ونهب

وفي الجهة الشمالية منه عدة مصالغ فيها العائلة الملوكية وأشهرها مصطبة (نقرمات) أحد رؤساء مقاطعاته ومصطبة (أتت) زوجته ونقوش هذه المصاطب وكافة الرسوم مشابهة لما في سقارة ثم مررنا على مدينة الواسطة وهي المدينة الشهيرة التابعة لمديرية بنى سويف التي يتسدى منها الفرع الحديدي الموصل لمدينة الفيوم وكنا نستنشق الالهوية المعتدلة ونسرح الطرف في بديع النباتات الزاهرة حتى حاذينا قرية بياض (التي هي من أعمال المديرية السابقة وتوجد على الشاطئ الشرقى للنيل ومن جبلها يؤخذ الحجر الشهير بالمرمر وأول من استعمله في الابنية الشهيرة في هذه الازمنة الاخيرة هو مؤسس العائلة العلوية الخديوية المرحوم محمد علي باشا فانه بنى مسجد القلعة المشهور منه ولم يحدث في خلداه أنه يأتي به من بلاد ايطاليا كما يفعل جمهور الناس الآن غيرة على محصولات الوطن الطبيعى وحبا في رواجها وحرصا على عدم اخراجهم الدرهم منه اللهم ارجه رجة واسعة وجازه خير الجزاء) ولم تأت الساعة الرابعة بعد ظهر هذا اليوم حتى تقابل الوابور المسمى رمسيس الاكبر بالباخرة التي تقلنا تجاه الفشن وهي احدى مراكز مديرية المنيا الآن وكانت قاعدة المديرية سابقا وبها سوق أسبوعي عظيم يجتمع فيه خلق كثير لتبادل المتاجر وخصوصا الحبوب والماشية والاقشة وبها سوق آخر دائمي وعدة جوامع شهيرة منها جامع الشيخ شمردل وبها ضريحه وأغلب أراضيها تابع للدائرة السنية وكان بها معمل عظيم لاستخراج السكر ولكنه أبطل بعد أن بيع وأغلب بيوتها مؤسس باللبن وبها منازل كبيرة مبنية بالآجر في غاية من الزخرفة وهذه المدينة قديمة جدا واسمها القديم القبطى (فنش) بتقديم النون على الشين وهي اخذة في التقدم والعمران وكان بهذه السفينة (رمسيس الاكبر) جناب المسترجون كولاً عائداً من اسوان وبعد أن وقفت الباخرتان وفد علينا على زورق ومعه بعض حاشيته وحينما استقر على الباخرة التي تحملنا استدعى جميع من بها الى مكان واحد وألقى عليهم خطابة باللغة الانكليزية وكان المسيو (فنديك) يعرب لنا معانيها أولا فاولا وهالك تعريبها

(ليس غرضي أن أكلمكم كثيرا خيفة ضياع الوقت وانما الغرض القاء عبارة وجيزة وأرجو أن تعيدوني آذانا صاغية وقلوبا واعية وهي أنى قابلت المغفور له الخديوى السابق فوجده متأسفا كثيرا على المصريين الذين ترشحوا بالعلم لتولى المناصب العالية ولم يساعدهم الوقت على السياحة في القطر المصرى لمشاهدة ما فيه من الآثار ثم قال انى لم أجد من المصريين من تجول في أنحاء بلاده الا القليل جدا مع أنا نجد السائحين يأتون من أمريكا وأوربا ليستفيدوا من الآثار المصرية عند مشاهدتها فيرجعون وقد ملؤا الوطاب من آثار قدمائكم واستفادوا ما لم يستفده ابن الوطن لانه لم يشاهد ما شاهدوه وانى على يقين من أنكم ستولون بعض المصالح الاميرية في حكومتكم فيجب عليكم أن تطلعوا على تاريخ قدمائكم حتى تديروا الاعمال بما تقتبسون من أنوار آثارهم فهلوا الى اغتنام هذه الفرصة ولا تكونوا كاحد الشبان الذى قابلنى فى الوجه القبلى مندوبا من قبل الحكومة السنية لمهمة حيث سألته هل زرت هذه البلاد فيما سلف فاجابنى أنه لم يسبق له رؤيتها من قبل فواجبا هل يليق بموظف من موظفى الحكومة أن لا يطلع على نفائس وطنه المنبذة تلك هى الامور التى حملتى على أن أتحذكم ضيوفا لى وأعظم باعث لى هو أن هو الخديوى المعظم حفظه الله تعالى يرغب فى أن أهل المعارف تزور الآثار المصرية القديمة لانهم أولى من غيرهم بهذا الامر العظيم وان كانت الحكومة السنية لم تبخل عليكم باعظم من ذلك ولزيادة العناية بامركم نهت على وكيلى وجميع الخدم أن يقوموا بواجباتكم أحسن قيام وأتيت لكم بشهر ترجان عندى وهو الحاج محمد عليوه لوقوفه على أماكن الآثار ليرشدكم الى طرقها على أكل وجه وانى أرجو لكم الراحة التامة وأن ترجعوا سالمين مستفيدين)

وعلى أثر ذلك هاتف حضرة السيد بك بيومى كاتب أول المعارف بالدعاء للحضرة الفخيمة الخديوية قائلا (افند من جوق يشا) ثلاثا وتلاه الجميع فى ذلك وبارحنا جناب المستر على زورقه ووجهه يتהל فرحا وسرورا الى الباخرة التى تقله وقبل

وصوله اليها ركب جناب المستر (دجاس دنلوب) رئيس الارسالية وحضرة السيد بك
بيوى والمسيو فنديك والمسيو باكوس على زورق آخر لمكافأة زيارته فقابلهم بوجه
بشوش ولبان رطب يعرب عن وافر امتنانه ثم قدم لحضراتهم ما يقدم للزائرين
وأخذ يطوف بهم أنحاء الباخرة ليطلعهم عليها ثم شافهه المستر دنلوب قائلا اتنا
أتينا لمكافأة الزيارة لجنابكم وان سعادة الباشا وكيل المعارف كلّفني أن أحيطكم
علما بأن سعادته سيتوجه اليكم ليؤدى واجب شكركم على ما قدمتم به من خدمة
الانسانية والجميل الحسن. ثم ودّعوا جنابه وعادوا اليها وبعد ذلك سارت بنا السفينة
تقصد مدينة مغاغة حيث يكون بها المبيت فجلسنا نقطع الوقت فيما ألقاه علينا
جناب المستر المذكور وبعد ذلك أخذنا نريض الافكار وننزه الابصار بمشاهدة
ما على ضفتى النيل من النباتات الجميلة والاشجار العجيبة الى أن وصلنا مدينة مغاغة
فوافيناها في الساعة الثامنة مساء ولما لم نبارح الباخرة مع شغفنا برؤية تلك البلدة
اذ يوجد فيها أحد معامل السكر المشهور غير أن الزمن لم يسمح لنا بهذه الامنية
وهذه المدينة على الشاطئ الغربى للنيل وهى آخذة فى التقدم بواسطة مرور السكة
الحديدية بها وأبنيتها بالآجر واللبن وبها مساجد ذات منارات شامخة وسوق عظيم
أسبوعى تباع فيه الحبوب والحبوب القطنية وعصائب الحرير والعطارة والاغنام
ونحو ذلك غير السويقة الدائمة التى على الجسر وبها حوانيت يباع فيها الخبز
والبقول . ورى أراضى هذه البلاد من التربة الابراهيمية ومن الواورات المركبة
على جانبيها والمسافة التى قطعت من مصر اليها تبلغ مائة ميل وستة أميال

(اليوم الثالث) وفى منتصف الساعة السادسة من صبيحة يوم الاثنين الخامس عشر لشهر شعبان
سنة ١٣٠٩ سارت الباخرة تجر أذيالها تها فى اليم ونحن نقطع الاوقات تارة بالكتابة
وأخرى بالقراءة وحينما نلزم الحجر للاستراحة وآخر نصعد على ظهر الباخرة لاجتلاء
مناظر النيل الجميلة وما عليه من البلدان والهضبات وقبل الظهر شاهدنا جبل
الطير وهو فى الجهة الشرقية للنيل وهو فى جنوب مدينة المنية ولعله سمي بذلك

لكثرة الطبر به فى بعض الاوقات وفى أعلى قنسه وبعض جهاته دير كانت تسكنه
الاقباط الفقراء وكانوا كلما مرت عليهم سفينة ينزلون بواسطة أحبال ويتساقطون
عليها ويلقون أنفسهم فى لجة البحر حتى يصلوا اليها فيسألون الناس الخافا فتارة
يرجعون بخفى حين وطورا بأعظم ما يتمنون وكان هذا دأبهم فى تحصيل أقاتهم
الا أنهم حظروا من ذلك فى هذه الايام بما أقطعه لهم المرحوم الخديوى السابق
وبعد ذلك مررنا على مدينة منية ابن خصيب وهى مدينة مشهورة بالصعيد على
الشاطئ الغربى للنيل مؤسسة على أثر مدينة قديمة تسمى (طمون) أو (اطموم)
وهى كلمة قبطية معناها الدير سميت بذلك لما كان بها من المعابد الكثيرة والاديرة
وتعرف الآن بمنية ابن خصيب نسبة للخصيب ابن عبد الحميد صاحب خراج مصر
من قبل هارون الرشيد قال ابن بطوطة فى سياحته يقال ان بعض خلفاء بنى العباس
تغير على أهل مصر فأراد أن يولى عليهم أحقر عبيده اذلالا لهم وتنكيلا بهم
يسير بهم سيرة سوء وكان أحقر عبيده الخصيب نفع عليه وولاه مصر ظنا منه
أنه يقصدهم بالأذى كما هو حال من عز بغير عهد له بالعز فلما استقر الخصيب بمصر
سار فى أهلها أحسن سيرة واشتهر بالكرم فكان أكبر البلاد وأقارب الخلفاء
يتصدقونه فيجزل عطاياهم فاقتقد الخليفة يوما بعض أقاربه العباسيين قرآه غائبا
ثم حضر بعد مدة فسأله عن مغيبه فأخبره أنه قصد ابن خصيب بمصر وأظهر له
ما أعطاه فكان قدرا عظيما وأثنى عليه فغضب الخليفة وأمر بسمل عيني ابن خصيب
واخراجه من مصر الى بغداد وأن يطرح فى أسواقها فلما أتى الامر بالقبض عليه
حيل بينه وبين منزله وكان معه ياقوتة عظيمة القدر نجباها فى ثيابه وسملت عيناه
وطرح فى سوق بغداد فمر عليه بعض الشعراء وهو مطروح فقال له يا خصيب انى
كنت قصدتك من بغداد الى مصر ممتدجا فوافقت انصرافك عنها وأحب أن تسمع
القصيدة فقال له كيف لى بسماعها وأنا على ماتراه فقال له انما قصدى سماعك لها
وأما العطاء فقد أعطيت الناس حتى أثقلت كواهلهم بأياديك فجزاك الله خيرا قال
فافعل ما شئت فانشده

أنت الحصيب وهذه مصر * فتدققا فكللا كما نهر
فلما أتى على آخرها أعطاه الياقوتة فأبى فأقسم فأخذها وذهب الى سوق الجوهريين
ليبيعها فلما عرضها عليهم قالوا هذه لا تصلح الا للخليفة فرفعوا أمرها اليه فاحضر
الشاعر واستفسره عن أمر الياقوتة فآخبره بخبرها فتأسف عند ذلك على ما فعله مع
الحصيب وأحضره بين يديه وأجرل عطايه وحكه فيما يريد ورغب في أن يعطيه
المنية هذه فسكنها الحصيب حتى توفى وهى الآن لحسن منظرها يخالها الناظر
عروسا مختالة فى حلل الازهار متوجة بكامل الثمار بمنطقة بمناطق الانهار والعز
خاطب لها فهو ينثر عليها من التقدم أبدع نثار حتى جرت ذيل الفسيان على مدينة
أسيوط بما لها من الثروة التى عادت عليها من معمل السكر التابع للدائرة السنية
الذى هو أحسن معمل فى القطر المصرى فانه يتحصل منه على قدر جسيم من السكر
الابيض والاحمر والعسل وبما لها من جودة الهواء حتى ان الخديوى اسماعيل باشا
بنى بها قصرا مشيدا معدا لنزول سموه عند تشريفه تلك الجهة وهى وأس مديرية
تسمى باسمها وبها محل لمبيع البضائع الاجنبية كالجوخ والاصواف والحرائر والاقشة
المصرية كالتيل والكبان والصوف وخانات بديعة النظام لنزول المسافرين والسياحين
وغير ذلك من لوازم الانتظام والتقدم وما زلنا بعد أن غابت عنا مناظر تلك المدينة
نجتلى مناظر النيل التى أحدثت به حتى جاءت الساعة الثالثة بعد الظهر فرست
(بنى حسن) الباخرة على الشاطئ الشرقى لرؤية الآثار التى ببلدة بنى حسن الواقعة على بعد
١٧١ ميلا من مصر وهى قرية كانت فى أوائل هذا القرن بأعلى الجبل وكان النيل
اذ ذاك بجوار السفح وكان أهلها يشنون الغارة على أهل السفن ويقطعون السبل
ويعنون فى الارض فسادا فأرسل الله عليهم جنود المغفور له محمد على باشا فدمروها
وقتل من قتل ونجا من نجا وبذلك انقسمت الى بلدين احدهما على الشاطئ
والاخرى للشرق منها واسم الاولى بنى حسن واسم الثانية دروه وبناء بنى حسن من
اللبن وأرفع بيت فيها لاتزيد الطبقة منه عن قامة وبسطة وزراعتها جيدة على قلة

المياه بها لارتفاع أرضها والشجر الغالب بها هو النخيل ويظهر أن أغلبها فى غاية الضئيل فقد أخبرنا بعض أهاليها أنهم لشدة ما بهم يؤجرون الاطيان لعمدتها بنين بنس يدفعه فى الخراج ثم يستأجرونها منه بنين أكثر بنحو الثلث

وعند وصولنا ركبنا المطايا وهى جرديثة وتوجهنا لرؤية الآثار فسرنا فى طريق يحترق المزارع ومررنا على أطلال البلدة القديمة حتى وصلنا سفح الجبل فى نحو نصف ساعة وهناك ترحلنا ومشينا لان المهر لا تستطيع الصعود ولانا نرى حقيقة الاشياء مشاة أوضح منها ركبانا فكنا نرى حفرا كثيرة بعضها ظاهر العمق والبعض مغطى بالرمل يظهر أنها كانت مقابر للعامة من قدماء المصريين وما زلنا نصدق حتى وصلنا المقابر الجسمية وقد ضعفت منا القوى واشتدت حرارة الجوف فانفجرت منا ينابيع العرق فلما برهة للاستراحة ثم نظرنا للقبور فاذا هى بيوت متخذة من الجبال بعضها قريب من بعض وأبوابها فى مستو واحد تقريبا وهى ثلاثون مغارة منها خمس عشرة لم تغير كتابتها ونقوشها والباقي محي ما عليه من الكتابة وجميع أبوابها للجهة الغربية أغلبها يشبه مغارة الجيوشى من بعض الوجوه وهالك وصف بعض هذه القبور من جملتها بيت يسمى مقبرة سبتى وهو بيت مستطيل الشكل بداخله ستة أعمدة من أصل الجبل أبقوها حالة النحت وهى تكون سطحين متوازيين من الشمال الى الجنوب تبدئ بسمك عظيم ثم تستدق شيا فشيا وفى نحو أربعة أجناسها يحيط بها أحزمة كأنها تضبط تلك المخاريط الناقصة المكونة للعمود وبعد الأحزمة تتكون المخاريط ثانية بسمك يساوى مبدأ العمود من أسفل وتنتهى بالسقف ولم يبق بعد جناية الدهر عليها الا اثنان وثالث طرفه معلق بالسقف وأكثر من نصفه من أسفل قد ذهب وفى الجهة المقابلة للباب صور تدل على المصارعة والحروب وفى الحائط الجنوبي صورة سبتى وفى الشمال صورة زوجته وفى الجهة الغربية على يمين الداخل معبد وبجانبه معبد آخر يشبهه وبجواره أيضا آخر أقل ارتفاعا منهما وفيه سرداب غائر فى الارض منه استظهرنا أن أغلب هذه المدافن متصل ببعضه بعض ومن أهم

المحال قبر لرجل يدعى (حنتم حنب) ابن بنت أحد الملوك واسمها (بكت) وخدم هذا الرجل الملك نضاوس من العائلة السادسة والعشرين أيام السلم والحرب وكان من أرباب الاقطاعات مستوليا على الجهة الشرقية من مديرية مخ ويتوصل اليه أولا من درجة بديعة الصنعة والمقبرة داخلها وفيها أربعة أعمدة ونقوشها في غاية من الاتقان وهي تتضمن أحوال المعيشة كقبر (ت) بسقاره

وعلى الحائط الشمالى صور أمة من سكان اسية أتوا في أيامه اما فرارا من قحط حصل ييلادهم أو أنهم أسرى أقي بهم هذا القائد أولمحو ذلك وعددهم سبعة وثلاثون يقال انهم من قبيلة (عامو) شرق فلسطين وتراهم يقدمون المعز والائند قربانا وفي شماله مدفن آخر لرجل من أعيان الدولة السابقة يسمى (امنى امنيا) وكان رئيسا لمديرية مخ مدة الملك (استرس) الاول ويعرف هذا القبر باسم (اسبوزرت مديس) نسبة للاله (ارتيس) لزعم اليونانيين أنه الاله المسمى عند المصريين سنحت السابق الذكر وكان هذا الرجل مشهورا بالعرفاء والاخبار بالغيب وقد كتب على بعض الصخور مامعناه قد أنجزت ما وعدت وكنت حلما رؤفا رحبما بالضعفاء محبا لوطنى

فمكارم الاخلاق عموما ومحبة الوطن خصوصا أمر متفق عليه منذ تلك الاعصار الخالية والاجيال الغابرة نرى كل عاقل مثل هذا القائد انما يجد ويجتهد في مصلحة وطنه ومسقط رأسه حتى تصل القائدة لجنسه وعشيرته وان صادف دون ذلك المشاق والاعتاب عاملا بقول من قال

بلاذى وان جارت على عزيرة * وقومى وان ضنوا على كرام

وكيف لا ولو تسوهل في حب الوطن لفقدت خاصية التماسر والتعاون وضاعت الحكمة في جعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتعاونوا فلا يزال المتأخر يحذو خذو المتقدم ويهتدى بهديه

ويتوصل الى هذا القبر برحبة لها عودان من الحجر الابيض كل منهما له ستة عشر وجها كل وجه يساوى شبرا وهما مزينان بأنواع النقوش والكتابة حتى اذا دخل

الانسان بينهما رأى فى الحائط الغربى الذى فيه الباب صورا وأشكالا وسطورا برأىة
ثم يدخل فى قاعة متسعة مربعة الشكل أحد أضلاعها يساوى احدى وعشرين قدما
ويوجد محراب بابه فى الحائط الشرقى لهذه القاعة يظهر أنه كان للاله (سنحت) فيه
صورة صنم كبير بجانبه صنمان أصغر منه وهى صورة (الالهة اسيرس) وهورس
وبالحائط الشمالى من القاعة صورة مدير الاعمال بتلك الجهة والسقف مركب من
ثلاث قبوات مزينة بالتقوش الغريبة مستطيلة متوازية يفصل كل اثنين منها
متوازى سطوح قائم وهو من ضمن الجبل كالسقف كل ذلك بالنحت وهو مقام على
أربعة أعمدة من أصل الجبل موجودة للآن الا أن العمود الثانى على يمين الداخل
أخذ عليه الزمان فقطع وسطه وبقي أعلاه معلقا بالسقف وأسفله مزتكزا على
الارض وارتفاع كل عمود سبع عشرة قدما ورؤسها على هيئة الكمام البشمن لانهم
كانوا يتبركون به لانه لا يظهر الا عند فيضان النيل وكانوا يقدمونه قربانا وجميع
الحدران محلى بكثير من الصور اللطيفة الالوان منها صور أشخاص يصيدون وآخرين
يقدمون القربان وقوم يتصارعون وطائفة ترقص وكلهم مؤزررون وكأبة أخرى تبين
أحوال المعيشة وهى فى غاية الدقة والاحكام وفى الحائط الشمالى والجنوبى صورتان
متقابلتان يظهر أنهما صورتا الملك بدليل أن فى يمينه عصا الملك المعروفة عند علماء
الآثار

وهذا القبر والذى قبله أخفى المقابر كلها

ثم ركبنا قاصدين اصطبل عنتر وهو أقدم هذه الآثار وتسميته هكذا حديثة لا يدري (اصطبل عنتر)
ماسيها واسمه الحقيقى (اسبيرس ارتيدوس) أى معبد ارتيس وأمامه ثلاثة أعمدة
وبابه فى مهب الريح وخارجه نقوش لطيفة وعلى يمين الداخل ويساره صورتا سبتى
الاول والد رمسيس الأكبر وفوق رأسه اشارة الشمس وفى يساره عصا الملك وبعد أن
ملنا عنه قليلا قاصدين النهر رأينا مقبرة قديمة كانت تدفن فيها القطا المخططة التى
كانوا يعبدونها وبعضها للآن ملقى على الارض بالكثبان من الكنان ثم مضينا

فأصدين الباخرة فوصلناها بعد أن توارت الشمس بالحجاب ثم قامت السفينة بعد الغروب تؤم بنا الروضة للبيت بها فلم بدخل وقت العشاء حتى وصلت مقصدها (الروضة ومعمل السكر) ورست هناك وهي بلدة على الشاطئ الغربي للنيل في الشمال الشرقي لمدينة ملوى على خمسة آلاف متر وكانت قرية خفيفة لم تنتظم الا في مدة الحديو الاسبق اسماعيل باشا وهو من مديرية أسيوط بقسم ملوى وفيها فابريقة لعمل السكر والعسل من أعظم الفابريقات وأجلها وأحكمها متانة وأحسنها نظاما من أعمال الدائرة السنية نخرجنا ومضى المترجم الشهير الحاج محمد عليوه الاقصرى لاستطلاع أحوال الفابريقة وحينما رأينا منظرها وآلاتها الغريبة وجودة صنعها كان الانسان منا ينقص من قدر قدماء المصريين ويسحب على آثارهم ذيل التسيان ويثبت الفضل للآخرين لا للمتقدمين ويعترف بان العلم لم يبلغ أمداه الا في هذه الايام الحديثة التي كثرت فيها الصنائع ودقت وراقت مناظرها ولكن يختلج في الضمير أن القدماء لا مانع من وجود تلك الصنائع عندهم غاية الامر أنها توات عليها كرات الدهر وتصاريفه فإبادتها لعدم مقاومتها لمر الدهور وتقلبات العصور

فكم جردت أيدي البلا سيف عزمها * على هامة الآثار شرقا ومغربا
وكم من جديده قد كسى ثوب مهنة * وراح رديئا بعد ما كان أطيبا
وكم من خبايا في غصون يد الثرى * أناخ بها ما صير الطفل أشيا

فهذه التقلبات لا تحفظ مادق من الصنائع ولا بد أن يكون من هذه الآثار ما هو كهذه الآلات ولودققنا النظر في تخنيط الموقى وفي الألوان الغريبة الثابتة وفي اختراع آلات السقى والحرق لسهل علينا الامر وحكنا بان الفضل للتقدم وأن الزمان لم يوصلنا الى جميع مخترعاته بل الى البعض الذي قاسى مشاق الدهر وما صنع فيه وهالك وصف الفابريقة على ما شاهدناه

هذه الفابريقة تخرج كل يوم مائة ألف كيلو جرام من السكر الخام وبها أربع معاصر اثنتان للعصر الابتدائي واثنتان للاعادة فدخلنا أول محل ومتمعنا النظر

في كيفية العصر وهي أن توضع أعواد القصب بعد تقشيرها وإزالة أعلاها وأسفلها وما عليها من الاوساخ على طاولة من الخشب منخفضة المبدأ مرتفعة النهاية دائرية على هيئة ما يسمى في الزنانات بالسير وهي من قطع من الألواح الخشبية متصل بعضها ببعض بسلك من الحديد اللين عرضها نحو متر تحرك بواسطة اسطوانتين احدهما في المبدأ والثانية في النهاية وعندها تسقط أعواد القصب بين ثلاث اسطوانات كل منها متحرك بحركة تضاد حركة الاخرين وفي أسفلها حوض ينزل فيه العصير المسمى بالزهر ثم تخرج الالياف الجافة من بين الاسطوانات وتحمل على طاولة من الألواح الخشبية كالاولى لاجل توصيلها الى معصر في الاعادة يعد أن يندي بالماء الفاتر ثم يمر بالزهر في أنابيب توصله الى قدور السليق وعددها (٥٢) قدرا وفيها يغلي العصير بواسطة التيار البخاري وتنقيته من الاجسام الغريبة بوضع تحت كل قدر مصفاة ينزل فيها العصير النقي وفي كل منها جزء من عظم الحيوانات لالتصاق تنقيته ثم يجتمع في حياض مستطيلة بواسطة أنابيب تسمى بالمخازن بها بعض من الفحم الحيواني لزيادة التنقية ثم يخرج منها بواسطة أنابيب حتى يصل الى قدور كبيرة على هيئة القباب تسمى بالقزانات وعددها عشرون منها ١٢ للعسل و ٨ للسكر فاذا أريد جعله عسلا يؤخذ من تلك القزانات المعدة لذلك بعد تركه واذا أريد جعله سكرا فبعد طبخه في القزانات المعدة له ينزل في حياض مكشوفة يكت بها زمنا معلوما حتى يصير ثخيناً لزجاً ثم ينقل منها الى آلة بخارية تمزجه ببعضه مزجاً قويا ثم منها الى طواحين تتركب الواحدة منها من اسطوانتين تدخل احدهما في الاخرى والخارجة ثابتة والداخلة متحركة بحركة سريعة بواسطة البخار وبها ثقب ضيقة يخرج منها السكر أبيض اللون على هيئة حبوب صغيرة بواسطة طرد القوة المركزية وعدد تلك الطواحين ٢٦ والسكر ينقسم الى أربعة أصناف أول وثان وثالث ورابع فالسكر انعام الباقي من عمل الصنف الاول ينتقل الى الصنف الثاني لانه أقل نقاوة من الاول وما بقي من الثاني ينتقل الى الثالث ليخرج سكرا من الصنف الثالث وهكذا ثم ينتقل بعد ذلك

الى غربال لتنقيته من المواد الغريبة وفصل جزيئاته بعضها من بعض ومن الغربال يحفظ في مخازن بعد نشره زمنا في الهواء والمواد التي تبقى من الغربال تعاد الى القزانات لاجراء تلك العملية عليها لاختذ ما فيها من السكر

ويتحصل من هذه الفابريكة مقدار عظيم من السبيروتو وأما الالياف الجافة فلا تترك سدى بل تؤخذ وتشر حتى تجف ثم تحرق مع النعم في قزانات هذا المعمل لتقل مؤنة النعم نوعا ويستخرج غاز الاستمباح الذي يضىء الفابريكة من الدخان الذي يجتمع في المداخل وعددها (١١) وعدد قزاناتها (٢٤) وعملتها (٢٠٠٠) تقريبا بالمناوبة كل واحد ست ساعات ومقدار ما تعصره في كل ٢٤ ساعة ٢١ ألف قنطار ويدخلها سكة حديدية لنقل ما يلزم وهي في غاية من الاحكام والاتقان ولها منظر غريب وقت تشغيلها يأخذ بالالباب ويدهش الابصار وهي تشغل ليلا ونهارا فحوثاث السنة وبعد أن شاهدناها عدنا الى الباخرة وقضينا تلك الليلة بالشاطئ الغربي تجاه تلك البلدة

(اليوم الرابع) وفي الساعة السادسة من صبيحة يوم الثلاثاء السادس عشر من شعبان المكرم سنة ١٣٠٩ جرت الباخرة أذيالها في اليم قبل أن ترسل الشمس أشعتها على صفحات الكون وما أتت الضحوة حتى أشرقنا على جبل أبي غودة وهو بالشاطئ الشرقي مطل على النهر يراحم الجو بارتفاعه ويمد على السحاب طويل باعه يكاد أن يتلع الماء بضخامة سفحه ومنظره الهائل وتيار المياه شديد الوطأة ترتعد منه فرائص السفن وتقر سلاسله ثوب الخوف والفرع سالكة سبيل التذلل والخضوع خشية سطواته وبوالى كراته وهو على بعد ٢١٢ ميلا من القاهرة وسلسلة الجبال المعروفة بهذا الاسم تمتد طولا نحو ١٢ ميلا ويوجد بنهايته الجنوبية حفر فيها جثث التماسح ومنظره من المناظر المهمة التي يتمتع بها نظار من تدبر وتفكر واستدل على عظمة الخالق وكمال قدرته سبحانه من اله حكيم جلت قدرته وكملت صنعته ثم لم تزل السفينة سائرة حتى مررنا على منفوط التي تبعد عن القاهرة بقدر ٢٢٣,٥ ميلا وهي واقعة على الشاطئ الغربي للنيل ومحل مدينة قديمة مصرية قال ليو الافريقى انها تخربت مدة الرومان

ثم تجددت ثانياً بدخول المسلمين وذكر أنه كان بها عمارات وأعمدة جسيمة منقوشة بالنقوش الهيرغليفية ولما كانت الساعة الرابعة بعد الظهر رست الباخرة على مدينة أسيوط وهى أشهر وأضرمدائن الوجه القبلى واقعة على الشاطئ الغربى (مدينة أسيوط) ذات بساتين نضرة ومبان فاخرة وشوارع منتظمة ومناظر عجيبة وحينما رست الباخرة عليها بعد أن نشرت رايات السرور ورفعت ألوية الجهور نظرنا وإذا تلامذة المدرسة الأميرية وناظرها مستعدون لاستقبالنا صفوفاً وبعد ما استقرت السفينة نادوا بصوت الانشراح

وهى على بعد ٢٤٩,٥ ميلاً من القاهرة وقاعدة مديرية أسيوط المشتملة على ٤٣٤ قرية وعلى ٥٨٣٥٩٦ من السكان

وهى المدينة الشهيرة التى كانت محطاً للقوافل الآتية من وسط افريقيه وكردوفان ودارفور بطريق جبال ليبيا الحاملة للبضائع النافعة مثل سن الفيل وريش النعام والصمغ والخلود والرقيق والنملون ولا تزال محلاً لنزول القوافل الآتية من بلاد العرب بطريق القصير وعند مرورنا بها شاهدنا شوارع منتظمة على جوانبها بيوت شاهقة وفصور مزخرفة وحواري مشحونة بالبضائع الرائجة والصنائع المرغوب فيها وبها أيضاً خمس فنادق معدة لنزول المسافرين وكانت من نحو ١٤ سنة خالية عن هذه المحال اللطيفة والشوارع المتسعة المتقنة فلم يكن بها فى ذلك العهد الا فندقان وشوارعها لم تكن كما هى عليه الآن من الاتقان والاتساع وحالتها الحديثة معلومة لاحتياج للبيان

وهذه المدينة أسست على اطلال المدينة القديمة المعروفة باسم (سأوط) باللغة البربرية وتسميها القبط (سيموت) ومنه أخذت العرب اسم أسيوط ودعتها اليونان باسم ليكوبوليس ومعناه مدينة الذئاب لما يقرب بها من المغارات المنحوتة فى الجبل التى كانت معدة لدفن الذئاب المقدسة وابن آوى والكلاب معبودات سكان تلك الجهة قديماً ومن مصنوعات عصا الابنوس المخلاة بالسن الجيد وقرن الخريت والاولانى المتخذة من قرن الخريت والاولانى الخرفيه

وبعد أن استقرت السفينة ركبنا المطايا وخرجنا نجوس خلالها ونستطلع أحوالها
وكنا نسمع باهميتها ونشتاق لرؤيتها فلما حللناها

وجدنا بها ما يملأ العين قرة * ويسلى عن الاوطان كل غريب
وما زلنا نمرح الطرف في أرجائها بحيث لم تترك شيئاً يروق النظر الا جعلنا لانفسنا
حظاً من معرفته حتى كنا نسأل عن البساتين وأهلها والصنائع وأشهرها والمباني
وأخبرها وغالب بساتينها خارج المدينة تحيط بها الخضرة كحاطة الهالة بالقروهي من
النظافة بمكان عظيم وأجمع وصف لها أن نقول هي أم مدن الصعيد وما زلنا نسير
فيها بين حدائق لطيفة وقصور منيفة وخضرة ترتاح لرؤيتها الابصار حتى دنت
الشمس للغروب وكاد ينقطع ذهب الاصيل ثم شينا أعنة المطايا قاصدين الباخرة
فبتنا بها تلك الليلة تجاه المدينة

(اليوم الخامس) وفي منتصف الساعة الثامنة من صباح الاربعاء السابع عشر من شعبان سنة ١٣٠٩

خرجنا من الباخرة وامطى كل منا ظهر مطيته وسارعنا متوجهين لمشاهدة الآثار
الغربية بجمال ليبيا التي هي تجاه مدينة أسيوط من الجهة الغربية فررنا في طريق
منتظم متسع على جوانبه الاشجار اللطيفة والمزروعات التي يروق منظرها وبعب
بها من رآها ولم نزل في السير حتى اخترقنا مدينة أسيوط ثم جاوزناها حتى عبرنا ترعة
السوهاجية ثم سرنا قليلاً حتى بلغنا سفح الجبل فرأينا جلة كهوف ومغارات بعضها
بجانب الآخر كأنها نوافذ لقصر عجيب الشكل جميل الصنع وبعضها بأعلى الجبل
ومنها ما هو أسفله ومنها ما هو بوسطه وبعضها مظلم والبعض الآخر مضيء قليلاً
وبعضها أمامه شيء من الصخور العظيمة منقوش عليها بالقلم البرأى والبعض غفل
ولعدم ميل الجبل يعسر الصعود اليها وحين أمعنا النظر فيها رأيناها كالدار كالكين الخالية
من الباعة أو البيوت المعالقة الخالية من السكان

وبالجملة رأينا مناظر يقصر البليغ عن وصفها ويكل اليراع عن بيان كنهها ثم سرنا
على الاقدام قليلاً حتى وصلنا الى أول مغارة فاذا هي محل متسع منحوت في الجبل
أرضها غير مستوية

وبها عطفات كثيرة ودهاليز عديدة بعضها منحدرة الى أسفل والبعض صاعد لاعلى وتكثر بها الكهوف الصغيرة والكبيرة

وفي الجهة الغربية الجنوبية منها يوجد بئر يملغ عمقها خمس عشرة قدما كما أخبرنا بعض من له معرفة بذلك وكان معدا لدفن الذئاب المحنطة وعلى بعض جدران هذه المقابر يرى كثير من الصور والتماثيل المنقوشة بيد أنه يتعذر على الخبير فك رموزها الا بعد اجهاد النفس وتحلية الفكر لان يد الزمان عبثت بها وأذهبت نضرتها وسقف هذه المنازل منحوت في جوف الجبل محذب قليلا لا يمكن الوقوف على مابه الا بواسطة المصاييح ثم خرجنا بعد أن أخذ منا العجب مأخذه مما رأيناه من أعمال الامم الغابرة الدالة على قوتها ونباهتها وتوجهنا الى المغارة الثانية فإذا هي تشاكل الاولى غير أنها أوسع منها وأشد ضوأ وتشتمل على كثير من الكهوف والمغارات وبها قليل من الكتابة التي يصعب على العارف الدقيق فك رموزها بما فعلته بها الايام وأحدثته فيها نوب الزمان وعلى بابها الداخل صورة رمسيس الثالث منقوشة على الجباين ويوجد بها أيضا كثير من الصور البربائية وبها سرداب يمر فيه الانسان حبوا فيصل الى مغارة تشبهها غير أنها قليلة النقوش والصور ثم خرجنا منها وصعدنا الى الجبل فأنتهى بنا السير الى مغارة أخرى تعرف عند سكان تلك الجهة باسم كهف العساكر لما هو منقوش على جدرانها من صور العساكر المقاتلة الشاكرين للسلح حيث ترى هذه الصور منقوشة في الحائط الجنوبي لهذه المغارة على هيئة ثلاثة صفوف بيد بعض الصور الدرق والحراب ويده الاخرى القوس والفتاب وإذا تأمل الانسان فيها يحال أنها مستعدة للحرب والنزال طالبة النصر على الاعداء كل هذه الامور دلتنا على شدة اعتناء الامم الغابرة بالعمارة والقوة العسكرية المنتظمة ويرى الانسان على الحائط المقابل للسابق صورة الملك مرقع أحد ملوك العائلة الثالثة عشرة وهناك يوجد اسمه باللغة البربائية ويوجد غير ذلك نقوش بربائية كثيرة منقوشة بالخط الكبير الملون باللون الازرق غير أن يد الانسان وسرور الدهر ومضى

الايام شوهت جميع ذلك ويوجد في هذه المغارة اسم سبى ويوجد بها أيضا نحو (٦٤) سطرا رأسية لا تيسر قراءتها الا أن كان هناك سلم ومصباح يقال أنها تتضمن أدعية واستغاثات للاموات وهي تعرف أيضا كيفية تقديم القرбан لها ويرى بالمغارة التى بجوارها اسم (حبتفا) من ذوى المناصب العالية وكان يحكم على أقاليم مصر الجنوبية مدة العائلة الثالثة عشرة واسمه (نيف عاب) رئيس كهنة المعبود (امنويس) معبود سأوت

ثم خرجنا وسرنا الى أسفل حتى بلغنا مغارة تعرف عند العرب وأهل أسبوط باصطبل عنتر لانها مشابهة للمكان المعروف عند اليونان باسم (اسيبوس ارتيدوس) المسمى عند أهل بنى حسن باصطبل عنتر ثم سرنا الى أسفل أيضا حتى وصلنا الى مغارة حديثة اكتشفها بعض المصريين المدعو محمد الحلفاوى الموصى كل بحراسها الا ان حيطانها مطلية بالجير مزين أعلاها باللون الاصفر وعلى جدرانها التماثيل مرسومة باللون الاحمر غير محفورة فى الصخور

وقد وجدنا فى هذه المغارة لاله الا الله مكتوبة بالقلم العربى المحفور فى اللون الاصفر الذى باعلى المغارة ومكتشفها أخبرنا أنه عند فتحها رآها مكتوبة وأن بعض مأمورى مصلحة الآثار حضر وبعد اطلاعه عليها قرر أنها بالقلم الكوفى ولكن اذا شاهدنا الانسان يتخيل له أنها كتابة حديثة وليست بالقلم الكوفى

وجدنا أيضا بهذه المغارة كثيرا من القدور والاوانى الفخارية بعضها بقم ضيق والبعض متسع الفم كالزجاج المعروفة عندنا وأخبرنا من نشق به أن هذه الاوانى كانت معدة لحفظ أمعاء الكلاب والقطا والذئاب التى دفنت بتلك المغارة ومكتشف هذه المغارة المتقدمة الذكر أخبرنا أنه وجد فيها كثيرا من القطا والطيور المحنطة التى أرسل أغلبها الى دار التحف بمصر والظاهر أن سكان سأوت القدماء كانوا يعبدون هذه الحيوانات حتى اعتنوا بها هذا الاعتناء وحافظوا على أجسامها هذه المحافظة ويوجد فى بعض كتب التماثيل أن الاله الوطنى لهذه البلاد يعرف

عندهم باسم (امنوبيس) وهو ابن آوى حيث وجد كثير من جنسه مخنطا مدفونا وكثير من الطيور الجارحة والقطاط والكلاب وبعضها مغشى بالذهب ويوجد بها قليل من الذئب ثم خرجنا وزلنا الى أسفل الجبل فرأينا رجلا من فلاحى هذه البلاد وقد اقتنص ضبعا بالآلة المسماة بالشرك وبعد أن بارخناه مررنا بالقرب من المقبرة المستعملة الآن لدفن الموتى كل ذلك ونحن ننظر الى أسسيوط ونتمتع بمشاهدة منظرها البهيج الذى يقصر اللبيب عن وصفه ويهجز البليغ عن شرح بهجته وشاهدنا أيضا مزروعاتها التى تنبئ المارين عن خصوبة الارض ومهارة الزراع

ويوجد بالكاب النمساوى العبارة المسمى بدليل مصر أنه توجد فى مقابلة مدينة أسسيوط قرية تسمى بنى محمد الكفور تحتوى على قبور للعائلة السادسة وربما كانت للثلاث (بيس) وغيره من ملوك هذه العائلة

وهذه المدينة (أسسيوط) بالنسبة لكونها فى حضن الجبل الغربى صار هواؤها غير موافق للصحة وأعظم موضع بها الحرة وهى على البحر هواؤها جيد جدا وبها مقر المحكمة الاهلية وبها مدرسة شهيرة أميرية متقدمة جدا تلامذتها تلوح عليهم العناية ويوجد بها عدة مدارس أخرى كمدرسة الاميركان وغيرها

ولم نزل نحث المطايا حتى وصلنا الى السفينة حيث كانت الساعة العاشرة صباحا فركبنا وسرنا قاصدين سوهاج فوصلناها بعد أن مررنا بمدينة أبى تيج ومدينة طهطا (سوهاج) واذا هى مدينة قديمة بالصعيد على الشاطئ الغربى للنيل بين أسسيوط وجرجا وهى مركز ديوان مديرية جرجا وقد كانت جرجا سابقا هى مركز أعمال المديرية

ولما شاهد المرحوم سعيد باشا موقع هذه المدينة وطيب هواؤها وتوسطها فى بلاد المديرية أمر بنقل ديوان المديرية اليها فى قصر بناء بها يندر وجود مثله فى بلاد الصعيد وجعله مستوفيا لجميع متعلقات الديوان

ولمرا الحق انها بلدة طيبة منظرها عجيب وهواؤها صاف جيد يخالها الراى من البعد مبنية من المرمر الأبيض وهى على شاطئ النهر منتظمة الشوارع والاسواق وبها

كثير من المتاجر ومزروعاتها جيدة وتربتها خصبة وبها مساجد كثيرة من أشهرها مسجد العارف الذي بينه وبين المديرية ساحة فسيحة تحتها أشجار اللبخ منظرها حسن جليل وظلها وارف ظليل وتحت مرسى السفن بالنهر

وفي شمالها الشرق حديقة لطيفة الغراس وعلى نحو ثلثمائة متر منها قطعة من الأرض نحو عشرة أفدنة مزروعة بشجر السنط المشهور الذي يؤخذ منه القرظ النافع في الصباغة وأخشاب تصنع منها آلات عديدة كالتواييت والسواقي والطواحين والمحاريث والمراكب ويتصل بها من الجهة الجنوبية التربة المعروفة بالسوهاجية التي يبلغ عرضها ٧٤ م تقريبا فوصلناها في الساعة الثامنة مساءً وبتنا بها تلك الليلة

ولما أتت الساعة الثامنة من صبيحة يوم الخميس ١٨ شعبان سنة ١٣٠٩ خرجنا قاصدين مدرستها الأميرية وهي واقعة في الجانب الغربي من المديرية تحتوي على طبقة واحدة وبها أربع فرق وفصولها كبيرة جدا حتى أنك ترى التلامذة منخازين في ركن واحد من الفصل وقد كان هذا المحل مصطبلا للخيول سابقا ولذا كان وضعه غير صحي وليس فيه نور كاف للتلامذة وقد جددت المعارف في وسط الفسحة الكبيرة مدرسة أخرى بها طبقة واحدة مزكبة من سبع قاعات خمس منها للتلامذة وواحدة للناظر وأخرى للمعلمين وفي وسط الجميع رحبة ضيقة

وهذه المدرسة وإن كانت منتظمة البناء إلا أنها ضيقة على التلامذة وقد اخترنا بعض تلامذتها في فروع التعليم العربي فوجدنا الكثير منهم يتساهل في إخراج الحروف من غير مخارجها لعدم عنايتهم بذلك حيث يحسبوننا هينا وهو في اللغة العربية عظيم وأنا نقول والحق يقال إن التساهل في هذا أمر فاس والعناية به ضعيفة وهي حالة يؤسف عليها لانا نرى الانجليز مثلا يحافظ على إخراج الناء من مخارجها والذال كذلك بحيث لو سمعها عربي لطرب منه ويستوى في ذلك عالمهم وجاهلهم ولسنا كذلك ونحن أولى به

(اليوم
السادس)

نعم ان درجة التلامذة في العلوم ليست منخطة فقد اخترنا الجميع فيما قرر اعطاؤه من اللغة العربية فأنشروا صدورنا منهم

وكذلك المستر دنلوب سر بدرجتهم في اللغة الانكليزية وكذلك اللغة الفرنسية وعدد تلامذتها ٨٥ تلميذا وكذا نطن أن مدرسة المديرية يكون فيها أضعاف هذا العدد لاسيا والبلدة هي البندرو من البلاد الشهيرة بالوجه القبلى الواقعة على شاطئ النيل وقد سأنا أحد معلمها عن سبب قلة التلامذة فقال ان الاهلين ليس لهم اقبال تام على تعليم الشبان والسبب الوحيد في ذلك أنهم لا يجدون محركا من أولى الامر هنا والناس على دين كبارهم فقلنا كيف لا يتحدثون في الاندية بفضل التعليم وحسن عاقبه ويحثون الاهالى على تربية شبانهم وتيسنون لهم ثمره العلم وتضربون لهم الامثال حتى تشتاق نفوسهم بهذه المؤثرات فما كان جوابه الا أن قال قد أفرغنا مافي وسعنا وسعينا وراء تقدم المعارف بكل جهدنا ولكن

لقد أضرمتم لو أوقدت نارا * ولكن أذت تنفخ في رماد

وقد أسمعتم لو ناديت حيا * ولكن لاحياة لمن تنادى

فقال بعض اخواننا أيها الاستاذ ان مرور الماء اذا تكرر على الحجر الصلد أثر فيه فعليكم بتنبية الازهوان في كل فرصة من الفرص بثمرات التعليم وتحصيل التقدم والله لا يضيع أجر العاملين

هذا وانا نشر راية الشناء على همة ناظرها الناضل عبد الرحيم افندى غلاب فانه مارأى أمرا فيه نجاح للمدرسة الا وفعله حبا للفضيلة وكذلك الاساتذة ثم خرجنا من المدرسة قاصدين الباخرة فوصلناها في الساعة الحادية عشرة صباحا ولم نقطع ثلاثة أميال حتى جاوزنا مدينة اخيم التي يقرب منها الدير الابيض الذى خصص للقديس شنوده القبطى الشهير الذى ولد سنة ٢٨٩ قبل الهجرة ومات سنة ١٧١ ق ه والدير الاحمر وكل منهما من مباني الامبراطورة هيلانة وهى واقعة بالشاطئ الشرقى ولها سوق مشهور وقد كانت تعد في الزمن القديم من أعمال طيبة وكان بها معبد يسمى (خم) وقد عده المؤرخ الشهير أبو الغدا من المعابد المشهورة وتوجد بقايا البلدة

القديمة خارجها وفي شمالها مغارات عليها صور الملأ طوطمـس الثالث وبها تعمل
الملاآت الجيدة والفوط والبشاكير
والنهر في تلك الجهة ملئو جهة الشرق ثم رأينا هناك جزيرة متوجة بالنباتات البهجة
وهي من أحسن الجزائر

ثم لم نزل السفينة مجدة في السير حتى رست على مدينة فرشوط فبتما بها وهي إحدى
مراكز مديرية قنا على بعد ٣٦٨ ميلا من القاهرة على الشاطئ الغربى للنيل تبعد
عنه بأكثر من ساعة وأمامها على الشاطئ الشرقى محل يقال له قصر الصياد على بعد
٣٧٦ ميلا من القاهرة وهو أثر مدينة قديمة وكانت هذه المدينة تسمى قديما برشوط
(بالباء) وكان فيها كنيسة احدىهما باسم السيدة مريم والدة سيدنا عيسى على نبينا
وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم والاخرى باسم ميكائيل أحد رؤساء الملائكة
الاربعة كما في كتب الانباط

(فرشوط
وتراجع علماءها)

وأثبتنا بالآجر بعضها على ثلاث طبقات
ومن أشهر مساجدها مسجد شيخ العرب همام وكانت هذه البلدة أيضا منبعاً للفضائل
والعلماء الاكابر منهم الشيخ أحمد بن أبي الحسين الفرشوطى كان يعرف بالحكمة وكثيرا
من العلوم ومنهم الشيخ عثمان بن أيوب المعروف بابن مجاهد كان أديبا شاعرا من
كلامه قوله

ياربع مية لى اليك ريس * وقف عليك مدى الزمان حيس
ساعات قربى منك هن سعادة * ساعات بعدى عندك هن نحوس
سقىا لايام الوصال وطيبها * والحقى والمغنى الغنى أنيس
ومنهم الاستاذ الشيخ محمد بن حزة وهو عالم فاضل أديب شاعر من كلامه
أنخ المطى برامة يا حادى * فهناك غاية مقصدى ومرادى
وانزل بساحة حى سكان النقا * فهناك بالتحقيق ضاع فؤادى
واسأل أهيل الحى أن يترفقوا * بتميم صب حليف سهاد
طلق الحشا قد ذاب من ألم الجوى * وأسيرهم ماله من فاد

وفي الساعة الرابعة من صبيحة يوم الجمعة ١٩ شعبان سنة ١٣٠٩ أفلعت بنا السفينة (اليوم السابع) من دشنا وبعد قليل من الزمن رأينا الجبل الشرقى وقد زحف على النهر وارتفع عليه ارتفاعا عظيما ليس فيه انحناء والمياه تضرب باصله كأنها تأخذ بالنار من عدو وقد أثرت فيسه فترى الخطوط البديعة في الحجر بسبب جرى الماء زمنا طويلا عليه وهى هيئة تهول الناظر ويتبعها البصر وفى تأثير هذا الماء مع شدة سيلانه على تلك الصخور مع عظم صلابتها تنبيه للعاقل ليعلم أن العمل ان دام نفع وان كان قليلا ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل والجبل هناك مشكل بأشكال بديعة فتراه يرسم فى وضعه أنصاف دوائر قطرها شاطئ النهر وينتهى بنقطتين من الجبل ملتصقتين بالشاطئ وهذه الانصاف الدوائر مزخرفة تارة بالأشجار وتارة بالنباتات الغضة وطورا تراها بيضاء بهجة للناظرين لاترى فيها عوجا ولا أمنا وما زلنا نسرح الابصار فى تلك المناظر اللطيفة حتى جاءت الساعة العاشرة من ذلك اليوم فرست بنا السفينة على دندرة (دندرة)

وهى بلدة على الشاطئ الغربى فى مقابلة مدينة قنا يحيط بها من الخيل وشجر الدوم ما يسير الراكب فيه نحو الساعة ومن مزروعاتها الحصى والعنبر والجلبان الذى يستعمل غذاء لمواشيهم كالبرسيم فى الوجه البحرى وهى مشهورة جدا بالدجاج البلدى المعروف بالفراخ الدندراوية وفيها معمل لاستخراجها وبها سويقة دائمة وكانت تسميها المصريون (نارات نارات) وكانت مشتهرة (بتنريس) وهى تسمية يونانية وكانت تعبد فيها الالهة هاتور وقد أنشئ فيها فى الازمان الوسطى فابريقات وبقرها اطلال دندرة القديمة بناها على ما فى خطط المقريرى قفطريم بن مصرام ابن بصر بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وما استقرت السفينة حتى امتطينا متون الركائب وسرنا بين المزارع والأشجار قاصدين هيكلى هاتور صاحبة الشهرة (هيكلى هاتور) والصيت الذى بكل عن وصفه اليراع ويقف دونه حقيقة التبيان وهو بالجنوب الغربى من البلدة عند سفح الجبل على بعد سبعة فاصلة وكان

مبدأ بنائه زمن البطالسة من اليونانيين وتم في مدة نيروز من قياصرة الرومانيين
تولى سنة ٥٦٨ ق ٥ وكان جبارا عنيدا سيء التصرف هلك سنة ٥٥٤ ق ٥

وبعد نصف ساعة من مسيرنا وصلنا الهيكل المذكور واذا بباب عظيم جدا يبلغ
ارتفاعه نحو الاربعين قدما يظهر أنه كان بابا لسور محيط بالهيكل مرسوم على وجهه
صورة المعبودة هاتور والملك يقدم اليها الهدايا وعدة صور أخرى يتقرب اليها بيد
كل منها منخورة يخرج منها دخان البخور ويوجد على يسار الداخل صورة المعبودة
ايسيس على رأسها قرون البقر وفي وسط قرنيتها صورة الشمس ويستدل من رسم
هذه القرون على تعظيم البقر لان عليه مدار زراعتهم وأمور معيشتهم وتمك حائط
الباب ١٧٥ م ومرسوم في سقفه صورة الجعل (الجعران) وهو رمز للاله الكامل
وأجنحته رمز للأبدية وهي مبسوطة كأنها محيط بالكون وهذا يدل على تعظيمهم
هذا الحيوان لانه يظهر وقت فيضان النيل الذي به عمران البلاد ولان شكل برازه
كروى تماما والشكل الكروى أتم الاشكال الهندسية ثم سرنا الى الداخل نحو
الخمسين مترا بين حائطين من اللبن قليلي الارتفاع بناهما مارييت باشا حتى وصلنا
الهيكل فلما دخلناه أخذ كل منا يردد طرفه في أنفائه فاخذنا العجب مما نشاهده
من النقوش المدهشة والصور الغريبة والالوان البديعة التي لا يبلغ شأو وصفها
القلم ويتفد دون شرحها اللسان وليس ذلك على سبيل المبالغة وكنا قبل ذلك نظن
أن لا يوجد أبدع مما رأينا من الآثار ونعمته شيا عظيما حتى اذا وقعت أبصارنا على
هذا الهيكل رأينا منه العجب العجيب وهو مركب من جملة رحبات

(الرحبة الاولى)

وهي أكبرها يحمل سقفها أربعة وعشرون عمودا موضوعة على أربعة صفوف كل
صف منها ستة ثلاثة على يمين الداخل ومثلها على يساره وهي مخروطية الشكل
قطر كل واحد منها من الاسفل ٢,٣٣ م ومن الاعلى ٢,١٠ م وارتفاعه بدون القاعدة
والناج ٨,٢٦ م واما بهما فهو ١٤ م تقريبا ومرسوم على تاجه من أربع جهاته

صورة وجه الاله ايسيس وهذه الرحبة متسعة الارزاء تسمى برحبة السماء لان ستقفها ملون باللون الازرق البديع وفيه صورة البروج والكواكب النابتة والسيارة ومنازل الشمس والبروج مرتبة على هذا الترتيب برج الاسد فالسنبله فالميزان فالعقرب فالشجاع فالجدى وهى أيضا مكررة على الحيطان بغاية الاحكام والاتقان

ويحيط بجميع هذه الصور من جوانب السقف صورتان متقاربتان للالهة نوت احداهما فى الجهة الشمالية والاخرى فى الجنوبية فالتى جهة الشمال على صورة آدمى رأسه ويداه تشغل شرق سقف الجهة التى هو فيها ومن كتفه الى عجزه يشغل جميع الجهة الشمالية ومن أول فخذه الى طرفى قدميه يشغل من الجهة الغربية مايقابل ماشغلته رأسه ويداه من الجهة الشرقية

وأما التى فى جهة الجنوب فهى مقابلة لها موضوعة على هيئتها تماما ومرسوم على حيطان هذه الرحبة صور كثير من الملوك تقدم القربان للالهة من مصوغ وجواهر وأزهار وروائح ذكية وصورة الشمس والقمر وشماعها متصل به وهذا يدل على أنهم كانوا يعلمون أن نور القمر مكتسب من نور الشمس وعليها أيضا صورة نوت وهاتور الهى الظلمة والنور يصبان على رأس الملك ماء التطهير لتكفير ما اقترفه من الذنوب وعليها أيضا صور كثير من قيصرة الرومان كأغطوس وطبريوس وكاتجولا وكيلوديوس ونبيرون وكذلك صورة رئيس الكهنة يقدم القرايين للعبود هاتور وعليها أيضا صورة المقدسة أوزيرس ويزعمون أنها ولدت فى دنطرة وصورة اسيرس وكوكب سهيل وهو رمز لزيادة النيل الدورى المبارك

وفى هذه الرحبة ثلاثة أبواب أكبرها أوسطها وعلى وجهته من الخارج صورة نعبانين بينهما الشمس وكان مختصا بدخول الملك وكانت عادته اذا أراد الحضور الى هذا الهيكل أن يلبس ملابس طويلة تشبه القفاطين ويأخذ فى يده عصا يتوكأ عليها ويتمتع نعلين وقبل أن يدخل المعبد يأقى المقدسون ويسرون له بانه ملك الديار القبلية والبحرية من أرض مصر والافرار بانه ملك الاقاليم الشمالية منقوش على الحائط

الشمالي وبانه ملك الاقاليم القبلية على الحائط الجنوبي فاذا وصل الباب حضره
المقدس طوط وهورس وطهراه ويأتى بعد ذلك سرات واتى ويتوجاهه بتاج الملكتين
ثم يأتى اليه قوم مقدسون من عين شمس فيقودونه بأيديهم الى أن يوقفوه أمام المعبود
فكانت هذه الرحبة عبارة عن مكان استعداد الملك للعبادة وبالجملة ففي هذه الرحبة
من بديع النقش والتمثيل مالا يبلغه الاحصاء وكلها في غاية المتانة والملاسة يستدل
منها على الاحق والمتكبر وسي المعاشرة والحليم والكريم وعلى ما تؤول اليه حالة هؤلاء
الى غير ذلك من الاحوال المعاشية في تلك الازمان

(الرحبة الثانية)

ثم دخلنا من باب مقابل للباب الاعظم الى الرحبة الثانية وهي تحتوى على ستة
أعمدة متقابلة يوجد بجدرانها نقوش تدل على أن هذا المكان كان معدا لاحتفال
الاعياد والمواسم الدينية ومرسوم عليها صورة الآلهة في جميع جهاتها وفيها صور
بعض الملوك يتقرب الى شاتور بأنواع العبادات ويوجد بها أيضا صورة آخر ملوك
البطالسة الذين خلفتهم دولة الرومان وقد غيرت صروف الدهر تلك الرموز وجعلتها
تحت طي الخفاء بحيث لا يكشف مخباها الا من نبغ في العلوم التاريخية وبذلك
الرحبة ست قاعات ثلاث على اليمين وثلاث على اليسار بعضها يعرف بأودة الفضة
أو السكنوز لما كان بها من الجواهر وبعضها كان مخزنا ليراد الوجه البحرى وبعضها
لايراد الوجه القبلى ومنها ما كان معدا لحفظ العطريات الى غير ذلك وما من قاعة من
هذه القاعات الا وفيها ما يدهش الراى من الصور والتمثيل وهذه الرحبة أقل من
التي قبلها ارتفاعا

(الرحبة الثالثة)

ثم دخلنا من باب مقابل للباين اللذين دخلنا منهما الى الرحبة الثالثة وهي قليلة
الاتساع بالنسبة للتي قبلها مزينة بأنواع النقوش والصور وبها بابان متقابلان الى
اليمين والى اليسار فيهما سلمان أحدهما معد للصعود وهو الذى جهة اليسار وعدد
درجاته مائة تقريبا وهو صاعد باستقامة وانحدار والثانى على هيئة خط منكسر

عند كل زاوية منه طاقة صغيرة ووضع هذه الطيقان يختلف بالنسبة لبعضها فنها ما يتجه الهواء الداخل منها الى أعلى ومنها ما يتجه الى أسفل وهذه الكيفية تتعكس تيارات الهواء فيتملى السلم به امتلاء عظيما فلم تمكن من المحافظة على الشعوع بل كانت تطفأ من شدته مع أننا في يوم شديد الحرارة قليل الهواء وهذا يدلنا على ما كان لهذه الامة في الازمان الغابرة من التضلع التام في العلوم الرياضية والطبيعية وعدد درجات هذا السلم يبلغ مائة وعشرا تقريبا وكنا نجد على حيطان كل من السلمين صورة الملك وبعده ثلاثة عشرة كاهنا بيد كل واحد منهم عصا على رأسها رمز له وباقي الرسوم عبارة عن صور أشخاص يقدمون الهدايا لعيد رأس السنة

(الرحبة الرابعة)

يوجد بها صورة المعبودة هاتور وفيها مذبح يذبح عليه القرابين عند لزوم وهي تحتوى على الصور المقدسة وفيها غرفة داخلها ثمانية باب الهيكل وكانت محل وضع أربع سفن (ذهبيات) مقدسة موضوعة على أربعة صناديق تحملها العبيد على قضبان من خشب وكل سفينة منها تشبه ما يسمى بالكشك مغطاة ببرقع أبيض على الدوام وبداخل هذه الرحبة الرمز السرى للاله الذى خصصت له هذه السفن وكل هذه الصور على غاية الدقة الهندسية وانتان الرسم وفي الجهة الشمالية من هذه الرحبة ثلاث غرف متداخلة مخصصة للكنيسة احداها لوضع المجوهرات وثانيتها للصلاة وثالثتها لتوزيع القرابين عند رأس السنة وسقوفها محلاة بصورة الالهة نوت والشمس والقمر ونجمة الحيلة ومن الغريب أنك تجد أشعة الشمس ملونة بألوانها اللطيفة المعروفة بألوان الطيف التى يرسمون أنها استكشفت حديثا

وفي غرفة العبادة صورة المائدة على الحائط وعليها صورة الكعك الذى يصنع فى المواسم الآن وهذه الرحبة كان لا يدخلها الا رؤساء الكهنة من خدمة الهيكل أيام الاعياد والمواسم

(الرحبة الخامسة)

تحتوى هذه الرحبة على آثار الاحترام وفيها أربع غرف كانت محل اجتماع الكهنة لاجلاء عيد خصوصى للاله بشت معبود بنى حسن وبكل منها صورة هاتور الظافر بالظلمة أو هاتور الارض وبداخل الغرفة الرابعة مكان تحت الارض على هيئة سرداب ذى ثلاث شعب يتوصل اليه بنحو سبع درجات من الخشب مصنوعة حديثا وكان مخصصا لوضع الملابس التى كانت تزين بها الالهة وبه صور جميلة فى غاية اللطف متناسبة الاعضاء وقد دخلنا هذا المحل بالشموع وأبواب شعبه ضيقة جدا حتى ان الواحد منا كان لا يدخلها مع قعوده قاعدة المستوفى الا بشقة ويظهر أن هذه الشعب مصنوعة فى جوف الحائط وكانت أبوابها لا تظهر للعين بل هى والحائط سواء وكانت تفتح بلوالب مخصوصة كل ذلك لحفظ ملابس الالهة ويوجد بهذه الرحبة غرفة سادسة بها صورة المعبودة هاتور وكان لا يقرب منها أحد غير الملك لأجل العبادة وبعدها غرفتان متداخلتان كانت تظهر بهما الالهة هاتور بصفة عجيبة جدا ترى منها الشمس كلها وبجوارها غرفة كانت محلا يجتمع فيه الآلهة وفيها مات الاله أوزيريس

وبجانب تلك الغرفة غرفة أخرى كانت محل صلاة أوزيريس وبها صورة تدل على أن الآلهة كانت ترجع جسمه من حالة الكهولة الى حالة الشبيبة وأخرى تدل على أنه كان راكبا يجمع أعدائه المرسومة هناك بصفة تماسيح وهو يعيش وراءهم وبجوارها غرفة تدل رسومها على أن أوزيريس كان يموت ثم يحيى ويلبها غرفة أخرى كانت محل الاستغاثاة بالمعبود ايسيس وجميع هاتيك الغرف مزينة بعجيب الرسم وغريب التصوير ثم صعدنا الى الدور الاعلى من سلم الصعود فرأينا رحبة متسعة النواحي فى شمالها اثنا عشر عمودا على عدد شهور السنة كل عمود مختص بشهر

وكان الملك أو بعض الكهنة يصعد فى آخر كل شهر فوق عموده ليرى الشعرى الميامية لانها من معبوداتهم وكان الملك يجتمع مع ثلاثة عشر كهنا أمام هذه

الرجبة تعظيما لها ويوجد في نهايتها حائط فيه سلم يسمى بسلم الهواء لان أحد جانبي درجاته في الحائط والآخر غير مرتكز على شيء كما هو الآن في أغلب منازل القاهرة ويوجد بالسقف جلة غرف احداها مرسوم على سقفها منطقة فلك البروج وصورة الاله نوت وفيها تاريخ بناء الهيكل وبداخلها غرفة أخرى كانت تحتفظ فيها جثث الموتى ويوجد بها آلات التخيط وهناك غرفة أخرى نشر سقفها نابليون ملك فرنسا وابين عند ما تغلب على مصر ونقله الى متحف بلاده والوارد أن منطقة فلك البروج التي قطعت ونقلت من دندره الى باريس كان نقلها بأذن محمد علي باشا سنة ١٨٢١ م وقد كان عليه على ما يقال صورة القبة الفلكية على غاية الاتقان وهذه الغرفة صور جلة من الجنود على اختلاف درجاتهم وهم رافعوا أيديهم بحذاء الجبهة صورة ما يستعمل الآن في السلام العسكري

ثم نزلنا من فوق السطح قاصدين التفرج على هذا الهيكل من الخارج ومشينا حوله على تلال مرتفعة من الردم قرأنا كثيرا من صور الكهنة والملوك والآلهة وأهم تلك الصور صورة الملكة كليوباترة وهي أقدم من وجد مرسوما على هذا الهيكل من الملوك وطولها يزيد على ثمانية أمتار ورأينا بها أيضا الميزاب الذي تنزل منه المياه وعليه صورة أسد مستوفز كأنه يريد الفتك بأنسان وقد علت الأرض على ذلك الهيكل حتى صار يتوصل إليها بعدة درجات بناها ماربيت باشا مع الباب الأكبر للرجبة الأولى

ثم مشينا قليلا الى الخلف فرأينا هيكلا كبيرا كان مختصا بعبادة ايس وقرأنا صور كثير من البقر يشبه البقر الانكليزي واعل هذا النوع كان منتشرا في مصر في ذلك الحين لان المصريين كانوا لا يعظمون من الحيوانات الا ما كان نافعا لهم وهذا المعبد به كثير من الردم ولم يظهر منه الى الآن ثم مشينا جهة الشمال الشرق حتى انتهينا الى معبد (مامترى) وبه صورة الصندوق الذي ولدت عليه هاتور وايسيس وتمثيل كثير من الآلهة على اختلاف أنواعهم فمنهم اله النور واله الظلمة واله الخير واله الشر

ولكل صورة تناسبه وفي هذا المعبد تمثال شيطان منصوب على عمود رقيق من أسفله
مركب من عدة سيقان تأخذ في العظم شياً فشيأ أى انها مخاريط ناقصة قاعدتها
الصغرى أسفل والكبرى أعلى وهذا المعبد صغير كسابقه وليس له أهمية عند
السياحين لعدم الكتابة عليه وهذه الهياكل الثلاثة محوطة بسور متهدم مبنى باللبن
المجفف طوله مائتان وأربعة وتسعون متراً وعرضه مائتان واثنان وتسعون متراً
وقد مر الكلام على بابه وهى موضوعة في وسط دندرة القديمة ثم امتطينا الركائب
وعدنا الى الباخرة في الساعة الثالثة بعد الظهر فسارت بنا قاصدة مدينة طيوة
القديمة وما منا الا وهو معجب بما رآه

(الاقصر) ولم تزل السفينة تمر بنا على الشواطئ حتى رست على الاقصر بالشاطئ الشرقى
في الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة وكان المبيت بها وهى تبعد عن القاهرة
بنحو اربع مائة وخمسين ميلاً وسميت بهذا الاسم لكثرة ما كان بها من القصور وهى
محط السياحين لعظم آثارها وبها التلفزيون والبوسنة والفنادق المعدة للاكل وغير
ذلك فبتنا بها تلك الليلة

(اليوم الثامن) ولما أنت الساعة الثامنة من صبيحة يوم السبت العشرين من شعبان سنة ١٣٠٩
أعدت لنا الزوارق بالشاطئ فركبنا فيها وسارت بنا قاصدة الشاطئ الغربى فلما
وصلناه قابلتنا الركائب المعدة لرؤية آثار القرية وهى قسم من مدينة طيوة القديمة
لأنها كانت عبارة عن الاقصر والكرنك والقرنة وهبو فركبنا الركائب وسرنا على
رمال متراكمة نسجتها الريح بمناجها الطبيعية فكنا نراها كسطح بحر حركته كف
النسيم وهذه الرمال تعلوها مياه النيل وقت فيضانه وبعد ساعة تقريباً انتهى بنا
المسير الى معبد أمون رع الذى بناه سبتى الاول وأتمه ابنه رمسيس الثانى ولكن
الزمان نقص من بهجته وحط من نضارته فرأينا ثلاثة أبواب تفتح للشرق أعظمها
أوسطها وامام تلك الابواب عشرة أعمدة ممتدة من الشمال الى الجنوب كل عمود
منها مركب من عدة قطع الاولى اسطوانية قطرها نحو ٥٥ سم والثانية مركبة من

سبعة مخاريط ناقصة قاعدتها الصغرى أسفل والكبرى أعلى والثالثة من أسفلها من سبع اسطوانات ومن أعلاها تجتمع وتكون اسطوانة واحدة وباقي القطع اسطوانية

ونقوش جدر هذا المعبد يفهم منها أن فرعون كان يعظم الالهة وحده بدون واسطة الكهنة بخلاف ما كنا نراه فى غيره فان تقرب الملك للاله كان بواسطة الكهنة ومن هذا يعلم أن الكهنة لم يكن لهم دخل فى السياسة فى ذلك الزمن أو أن فرعون كان كاهنا وملكاً معاً ويؤخذ من تلك النقوش أيضاً أن الاله كان يخاطب الملك بقوله قد وهبناك القوة والعظمة والنصرة ويوجد الملك مرسوماً مع بعض الالهة والناس تعظمهما وهذا يدل على أن الامر كان مشتركاً بينهما وكل باب من أبواب هذا المعبد يدخل منه الى رحبة فأما الاولى من جهة الشمال فسقفها قد محى من صحيفة الوجود وبنائها قد تخرب بحيث لم تبق منه أيدى الحوادث سوى قطع من الاجار البالية وفى وسط هذه الرحبة صفتان من العمد متقابلتان كل صف ثلاثة وفيها ست غرف متقابلة ثلاث منها على يمين الداخل وثلاث على يساره

وأما الباب الثانى فيوصل الى غرفة متخربة كثيراً وعلى غالب جدرها صور رمسيس الثانى يقدم الجور الى أمون رع واللبن والنبيذ الى الاله توت ويرى على كرطوش هنالك مامعناه

حققت الشمس أن رمسيس هو الفقير الوطنى وتحت ذلك سطر معناه أمير الامراء وآخر معناه ملك مصر وفى بعض المحال صورة سبتى الاول وهو فى ريعان الشباب واقف امام سفينة فيها تابوت يحتوى على اله الحق ناشراً جناحيه كانه يضم اليه جميع الاشياء وفى مقدمة هذه السفينة صورة رأس شاة وهو رمز عندهم للارواح لان اسمها عندهم كصوت الشاة

ثم ركبنا الركائب قاصدين باب الملوك فسرنا بين جبلين شاهقين فى طريق نظمتم أيام (باب الملوك) زيارة المغفور له محمد توفيق باشا الخديوى السابق وكنا نقطع الزمن فى تمتيع أنظارنا

برؤية الحذور الغربية التي بعضها مركب من طبقات رقيقة جدا ملون باللون الاصفر ونرى الجباين ذات العين وذات الشمال كان بهما مقاطع أحجار أو -صلت هناك زلازل غيرتهما عن حالتها الأصلية وما زلنا كذلك حتى وصلنا ببيان الملوك أو مدينة الاموات كما قاله مؤرخو اليونان وهي موضوعة على بعد ثلاثة أميال من النهر وكان قدماء المصريين يعتقدون أن الارواح لا تنزع من الجسم مادام محفوظا فبذلوا الطاقة في ايجاد قبور لا يؤثر عليها كراياهم ومر الدهور واختار الفراعنة الاول احداث الاهرام لحفظ جثثهم الى الابد واختار المتأخرون منهم أن يتخذوا قبورهم مغارات في الجبال حذرا من أن تسطويد الزمان على الاهرام فتدمرها أو تغير الامم الاجنبية على هذه الديار فتدمرها فتتزع الروح من أجسادهم فتتخذت ملوك طيوه مقابرهم في الجبل المقابل للمدينة من جهة الغرب

وأما الفقراء والاهالي فلم يدر في أي موضع كانوا يقبرون وكل قبر من هذه القبور عبارة عن سراى في الجبل مزركشة بالصور اللطيفة والنقوش الغربية ويبلغ عدد المقابر نحو خمس وثلاثين والسياحون يدخلون أهمها وهو خمس فلما وصلنا هذه المقابر ابتدأنا بقبر رمسيس الرابع وهو من قبل الهجرة بألف وسبعمائة وثمانين سنة فدخلناه وإذا بصورته على اليسار يقدم للاله هر مكنس الاشياء التي ينشرح اليها وعلى جدر هذا القبر كثير من الصور والآثار الدالة على الاحوال المنزلية وهي عبارة عن ألوان بدیعة وليست نقوشا في الاحجار وقطعنا أثناء دخولنا ستة أبواب حتى وصلنا الى غرفة فيها تابوت عظيم من الحجر الجرانيت يزيد طوله عن ثلاثة أمتار ويبلغ عرضه وارتفاعه نحو المترين وهو موجود للآن وكان به جنة الملك وهذا التابوت قطعة واحدة عليها كثير من النقوش الدالة على أعمال الملك ثم دخلنا قبر رمسيس التاسع المشهور بمغارة نقوشه لغيره وهو نازل في الارض نزولا عظيما على هيئة خط منكسر يستقيم نحو المترين ثم ينحدر انحدارا عظيما وسقفه محلى بالقبة السماوية وعلى جانبي الداخل يرى قدر عظيم من الصور كسالفه وفي منتهاه فسقية كان بها جنة رمسيس

التاسع ثم توجهنا الى قبر رمسيس السادس ومن غريب ما فيه سقفه المزدان برسوم القبة ارقاء بافلا كلها ومسيرها وما يطوف بها من الارواح على معتقدهم وكلما التفت الداخل يمينه أو يسرة رأى محال ماونة بغريب الالوان في تلك الازمان بحيث لا يكاد يوجد لون في هذا الزمن الا وهو منقوش على تلك الجدران وفي انتهاء هذا القبر يوجد تابوت كانت به جثة الملك ولما رأينا ما بهذه المقبرة عدنا الى قبر رمسيس الثالث وتاريخه قبل الهجرة بألف وثمانمائة واثنين وعشرين سنة ويسمى قبر بروس لان مستكشفه السياح (بروس) فوجدنا بجهتي الدهليز قاعات عليها رسوم مهمة جدا فيها رسم الكواكب والفرش والأنسجة والدروع الحديدية وباقي الآلات الحربية والزراعية ورأينا أيضا في بعض جهاتها قومامن المصريين قائلين بمحاربة العدو وخذلانه متخذين الاحتياطات الحربية على أحسن نظام والتابوت الذي من الصوان الاجر الذي كان فيه جثة رمسيس الثالث هو الآن بسرأي اللوفر بباريس عاصمة فرنسا وغطاؤه في مدينة (كسبرد) وجثة هذا الملك بمتحف الجيزة وطول القبر المذكور نحو أربعمئة قدم وفي أسفل جدر هذا القبر كتابة يونانية تدل على أن السياحين كانوا يقصدون هذه القبور زمن البطالسة

ومن أحسن الاتفاق اتنا دخلنا أولا هذه القبور قبل أن ندخل ذلك القصر الشاهق والمكان الرفيع وهو قبر سيتي الاول رأس العائلة التاسعة عشرة وهو قبل الهجرة بألف وتسعمائة وثمان وثمانين سنة لتأق الامور بالتدريج خوفا من أن تزيد بنا الدهشة حتى تخرج بنا عن حد الدقة في التصور والامعان في النقوش فلما قضينا الغرض من تلك القبور سرنا قاصدين ذلك القبر وقد استكشفه السياح بيزون في أوائل هذا القرن ووجدت به أمارات تدل على أنه استكشف قبل هذه المرة الآن التابوت المصنوع من الرخام لم يرل موضوعا في محله فدخلنا اليه بسلم ثم بانحدار غائر جدا بدون درج ثم بسلم ثم بانحدار حتى وصلنا رحبة بها أربعة عمد مزخرفة بما يكل البراع عن ذكر يسيره فكيف بكثيره وبعد تلك الرحبة غرفة الغرض

منها اظهار كيفية الرسم والنقش ولذا تراهم قد حددوا القدر اللازم لنقش السورة من الحائط ثم عملوا مكان الاعضاء فيه وكل وضع من أوضاعها أثناء العمل له شكل وصورة خاصة فلهذه الامة فقد رقت أوج الرفعة في أنظار المتأخرين بمساهلتهم لهم من الاوعار وذلاته من المصاعب لئلا يقع المتأخر في لبس من كيفية العمل فهكذا تكون الامة ساعية في نفع الخليفة ثم تركا تلك الغرفة ونزلنا في مغار عميق تمتد تحت طبقات الجبل منحط عن سطح الارض الاصلية بقدر مائة وخمسين قدما وطول القبر نحو خمسمائة قدم (وقد وجدت جثة سبتي الاول بالدير البحري وأحضرت الى متحف الجيزة) وكانت بأيدينا الشموع فرأينا الهواء في هذا المحل قليلا خصوصا وقد أخذ منه لهيب الشموع قدرا عظيما فاستعنا على الدخول في هذا الغار العظيم بحجب الوقوف على ما كان لقدمائنا من العظمة والقوة والتقدم في العلوم والمعارف ومازلنا سائرين حتى انتهينا الى محل متسع جدا فرأينا به صورة النور المقدس وصورة الاله افتاح وهو يصنع الآلهة من عيونه والخلق من فمه وفي هذا المحل مسطبة تحيط بثلاث جهات منه مرتفعة الى ما يقارب كتف الانسان وفي آخره غار صغير لا يمكن الدخول فيه وانما كنا نرى الجزء الظاهر منه بواسطة الشموع والسلاك المغنيسى الذى كنا نستعمله في جميع المحال المظلمة والجزء الغائر نرى فيه صغير الحصى لثرى عمقه ثم دخلنا قاعة أخرى فرأينا بها صورة سبتي وهو لابس ملابس الملوك والكهنة معا وهذا يدل على أنه كان ملكا وكاهنا في آن واحد أى كانت في يده السلاطة السياسية والدينية معا

(وصف عام لجميع هذه القبور)

يرى في جميع هذه المقابر صورة آلهة المصريين بهيات عجيبية وصور تعابين كبيرة جدا كأنها تجري في أطراف المحل وفي السقوف والارض وصورة قوم يصطلون العذاب بما كسبوا فمنهم من تقطع رأسه ومنهم من يلقى في النار الى غير ذلك من أنواع العذاب والذي يرى هذا وهو غير عالم بالديانة المصرية القديمة بهوله الامر وينزع من هذه الاحوال المستغربة فان المصريين كانوا يتحكون في الميت ليعملوا من يستحق

الدفن ومن لا يستحقه وكل هذه رموز لمعتقدات الديانة فمثلا الشعابن الموجودة في المقابر هي رموز للآفات التي تعارض الروح عند صعودها الى السماء فان لم تكن مذبذبة سلت من الآفات وارتقت الى السموات والقاعات التي في القبور اشارة الى العقبات وأما النقوش التي على الجدران والسقوف فهي عبارة عن استغاثات ودعوات من الارواح الى الالهة وفي آخر قاعة من القبر يرى أن الروح خلصت من جميع العقبات وانتهت الى الحياة الابدية ثم بعد أن قضينا العجب من مشاهدة هذا القبر ملنا الى باب قبر آخر جرى بغدائنا فيه وقد أخذ منا التعب مأخذه فأخذنا نتناول الطعام قاضين العجب مما رأيناه متفكرين فيما كانت عليه الامة المصرية في تلك الأزمان من التقدم في العلوم والصنائع

ثم بعد ذلك قصدنا الذهاب الى بركة الملكة هاتاسو رابعة ملوك العائلة الثامنة عشرة (بركة هاتاسو) وقد كانت استولت على الملك بطريق الوصاية على أخيها تحتمس الثالث لقصوره بعد أن قتلت أخاها الأكبر تحتمس الثاني ومحت اسمه من الآثار وبعد أن بلغ تحتمس الثالث أشده فعل بها جميع ما فعلته بإخيه وذلك لأسباب سياسية حصلت بينهما ولما كان الجبل يحول بيننا وبين هذه البركة والصعود عليه وإن كان على الاقدام أقل صعوبة من الوصول اليها على المطايا من الطريق السهلة لطول المسافة عمدنا الى طريق وصعدنا عليه صعودا يقرب من أن يكون رأسيا حتى ان بعضنا جلس ليستريح في منتصف الجبل ولم نصل الى القمة الا بعد مشقة عظيمة وكان الواحد منا اذا نظر الى أسفل الجبل ترتعد فرائصه فيشجع نفسه ويعددها بما استراه من نفيس الآثار وعتيق المباني وبعد نحو ثلث ساعة حاذينا البركة المذكورة فترجلنا نازلين والمشقة لا تكاد تنقص عن مشقة الصعود لان الطريق الثانية أقرب لان تكون عودية من الاولى فلما نزلنا ركبنا قليلا حتى أتينا المعبد المسمى بالدير البحري وقد بنته هاتاسو شقيقة وزوجة تحتمس الثاني سنة ٢٢٢٢ قبل الهجرة وهناك تظهر براعة مهندس المعماري وهو سنحوت الذي حاز رضاء الملكة وقربته كثيرا منها حتى صار رئيس كُتاب الاعمال

وهو عبارة عن مكان متخرب فيه باب من الجرانيت الى الشرق لم تزل اطلاله باقية ويقابله من الداخل باب آخر جدرانه لم تزل باقية عليها الصور النفيسة والالوان البديعة اذ يوجد على تلك الجدران صور الغنائم التي آتت بها الملكة من بلاد الهند والبن حيث شنت الغارة عليهم وأنت بالسفن وريش النعام وسبائك الذهب وغير ذلك حتى انه يوجد على أحد الجدران ميزان يزنون به البقر بالسبائك الذهبية ولكن سقف هذا المعبد قد انابته يد الزمان وغيره الحدثنان ويجوار هذا المعبد الى الشرق مكان آخر تابع له به صفان من العمود كل صف عشرة قد سطا الزمان عليها فلم يبق منها غير نحو المترين من كل عمود وهذا الباقي عليه من غريب التماثيل المحككة مالم يتمكن من استقصائه والوقوف على جميعه ويجوار تلك العمود من الشرق حائط مرسوم عليه صورة الملكة هاتاسو على رأسها الشمس وهي تقدم الى المعبود امن رع ماأتت به من البلاد التي أغارت عليها كريش النعام والاشجار ذات الروائح الذكية وسن الفيل وما شاكل ذلك من الهدايا والتحف ويوجد بذلك الحائط صور أربعة أشخاص يكيلون الذهب بالمكيال وفي جنوب هذا المحل محل آخر يتبع ذلك المعبد بابه الى الشرق وفيه عمودان على يمين ويسار الداخل وعدة قاعات مزخرفة بأنواع الصور والنقوش وبه صورة الملك يرضع البقرة وهو جاث قحطها على ركبتيه وتثال ثور بين قرنيه صورة الشمس كل ذلك داليل على ما كان عندهم لنوع البقر من العبادة والاحترام

وبعد أن متعنا النظر بهذه التماثيل الآخذة بالالباب امتطينا الدواب آمين هيكل
رمسيوم ولم يمض نحو نصف ساعة حتى أدركناه وإذا به قد آل الى أعمدة وصخور
هائلة قد زحف عليها الدهر بجياله ورجله ولم تغن ألوهية المقدسين ولا عظمة الملوك
عنه شياً والذي أبنته تلك الأزمان من هذا الهيكل الذي يظهر على اطلاله أنه كان
على مكان عظيم من المثانة والاحكام رحبتان احدهما تشتل على نحو ستة
وثلاثين عموداً غير الواقعة وهي من الحجر الجيري كل عمود منها إحدى عشرة قطعة

(هيكل
رمسيوم)

الاولى اسطوانية قطرها نحو ثلاثة أمتار والثانية مخروطية والتسعة الباقية اسطوانية والرجبة الثانية متخربة أكثر من الاولى وبها صور قائمة على أقدامها ملتصقة بالاعمدة ضامة ذراعيها ونفذيها على صورة الاجسام المنحطة وهي موضوعة على هيئة صفوف متقابلة وبه أيضا من النقوش والتماثيل ما يماثل عظماء وأبهة ونخرا وبانيه هو رمسيس الثاني وهو من أعظم المباني وأوسعها ويقال انه كان مرسوما عليه صورة النجوم والافلاك من الذهب الخالص وأن محيطها ٦٠٠ قدم ومكها قدم

وبه صورة رمسيس على هيئة مختلفة فتارة تراه مشغلا بالعبادة وطورا تجده جالسا مع الآلهة والناس تتقدم اليه القربان وآونة يقهر العباد ويخرب البلاد ويسبي الاولاد

وقد كتب على جدره أن رمسيس كان يحارب أقواما من آسيا بقرب بلاد الشام وأن قومه تركوه في معمة القتال وفروا فلم يبال بجمع الاعداء وكر عليهم في عربته فقتل رؤساءهم وشتت جمعهم فكان تارة يرى في حالة الهجوم وأعدائه في حالة القهقري وأخرى ترى أعداءه واقعين تحت عجل عربته وقد أغرق بعضهم في نهر الاردن وعاد منتصرا ويرى في صورة أخرى جالسا على سريره يعنف قومه على تركهم اياه وغير ذلك ويوجد أمام هذا الهيكل صورة رمسيس وهي عبارة عن قطعة من الجرانيت ارتفاعها ١٧,٥ م ووزنها ٨٧٢,١٧,٢ كيلوجراما ولكن عوامل الازمان لعبت بها فكسرتها وتركها عبء لمن يعتبر

وبقرب هذه الصورة صورة رجل غريق منكس لخراج ما يجوفه من الماء وصورة أخرى لرمسيس من الحجر الاسود وعليها اسم مكتشفها

ويقال ان بعض هذا الهيكل كان معبدا والبعض الآخر قصرا وعلى مسافة منه ترى صخور متهدمة تشغل كثيرا من الارض بعضها مغطى بالتراب يقال انها معبد ميمون وبعد ذلك عدنا الى السفينة عند الساعة الثالثة بعد الظهر فاسترحنا بها نحو الساعة ثم خرجنا لمشاهدة مدينة الاقصر فقصصنا أولا مسجد سيدى يوسف أبى الحجاج (الاقصر)

واذابه خلف آتار الاقصر حتى ان بعض أعمدتها يرتكز عليها بعض سقوفه فأدينا به ما علينا من الصلاة ثم مشينا في طرق البلدة وإذا هي غير منتظمة الشوارع والازقة وليس بناؤها بالمستحق الذكر ثم عدنا الى الباخرة عند الساعة السابعة بعد الظهر متأملين فيما كانت عليه هذه المدينة من العظمة وما آلت اليه حالتها الآن ولكن تلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

(اليوم التاسع و آتار الكرنك)
ولما كانت الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاحد الحادى والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ بارحنا الباخرة لمشاهدة آتار الكرنك فركبنا المطايا ولم يمض نحو نصف ساعة حتى أدركنا تلك الآتار وهى بالشاطئ الشرقى للنيل وفى الجهة الشمالية لمدينة الاقصر فدخلنا من باب عظيم يفتح الى الجنوب يبلغ ارتفاعه نحو ٢٠ م يظهر للرائى أنه لم يتم بناؤه منقوش عليه كثير من صور الملوك وصور الآلهة كصورة الشمس وغيرها ورأينا أمامه صنفين من أبى الهول (سفنكس) بينهما طريق متسع طوله نحو ٦٥٠٠ قدم وعرضه ٨٠ قدما وفى نهايته طريق آخر يوصل الى هيكل (موت) محاط بصور أبى الهول والذى يظهر أن ذينك الصنفين كانا ممتدين الى باب برى الاقصر وأن ذلك الطريق كان معدا للوكب والمحافل ولكن يد الزمان أثرت فيها فشوهرتها وبدخلنا من ذلك الباب رأينا فى دهليزه كثيرا من العمد ملقاة على الارض لما جنته عليها أيدى الزلازل ولم يبق منها غير عمود واحد فانه باق على جاله وشاهدنا فى مواجهة ذلك الباب بابا شاهقا كالاول أمام الابوان المسمى ابوان الكرنك قد تهدمت جهة منه فتراكت صفوره بعضها فوق بعض وأمام هذا الابوان تنال هائل لللك سيزوستريس قد غيرت أوصافه واشتبهت معلمه ولما دخلنا فى هذا الابوان حصلت لنا الدهشة والحيرة من عظمه واحكام صنعته اذ طوله ٣١٤ قدما وعرضه ١٥٠ وبه ١٣٤ عمودا موضوعة على هيئة صفوف منتظمة منها الاثنا عشر الوسطى ارتفاع كل منها ٦٠ ق ومحيطه ٣٥ وارتفاع كل واحد من الباقي ٤٠ ومحيطه ٢٧ والمؤسس لهذه الرجة هوسيتى وأقام بها ٧٩ عمودا وأقام رمسيس الثانى ٥٤ ورمسيس الاول عمودا

واحدا وعلى هذه العمدة تيجان ضخمة وفوق تلك التيجان سقف من الحجر الضخم العظيم وكل ذلك منقوش بأبداع الألوان وغريب الصور والنقوش ويندهش الداخل فيه حيث يرى أن ما أبقت يد الزمان قوى متين كآته بنى حديثا مع أنه مضى عليه من الزمن ما لا يتصور بقاء الجبال معه فانظر أيها المتأمل هل لغير الأمة المصرية مبان كبانيهم وهل كان في قوة أمة من الأمم أن تجاريهم في أعمالهم وانظر كيف قطعت هذه الأبحار العظيمة من تلك الجبال البعيدة وكيف تم لهم نقلها ووضعها على هذا النظام وكيف بقيت الى أيامنا هذه مع ما عارضها من الزلازل والصواعق والأقوام المغيرة على هذه الديار من العرب وغيرهم

ان هذه الأصناف تنبئ عن عظمة المصريين وسطوتهم وعلومهم وصنائعهم ويقال ان الذي ابتدأ في بناء هذا الإيوان هو منفتاح الاول والتمم له هو رمسيس الأكبر وبين العمود الثاني والثالث من الصف الثاني على يمين الداخل صورة زوجة رمسيس الأكبر وقد كانت مخفية تحت الثرى وأظهرت بالاستكشاف ويقال ان هذا الإيوان لم يكن معبدا وإنما كان معدا للجمعيات العامة

وأغلب ما على الجدران من النقوش عبارة عن ذكر واقعات وتفصيلها وهيئتها فترى النقاش قد قسم الحائط الى عدة أقسام جعل كل قسم منها مختصا بتفصيل واقعة وزى في كل قسم الملك متكيفا بكيفيات مختلفة فتارة تراه هاجما على أعدائه يطعنهم ذات اليمين وذات الشمال وأخرى تنظره في عربته بين جيشه والاعداء منهزمة أمامهم قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وتارة تراه كآته أخذ بشعور جم غفير من أعدائه يسراه ناشر السيف عليهم يميناه وهم جاثون على ركبهم تحت قدميه هيئة الشجاعة والقوة وفي النقش تظهر على الاعداء صورة الاطاعة والامتثال والتسليم لكل ما يفعل بهم حتى تراهم يقتلعون غابات بلادهم اخلص الطريق للمصريين وكل طائفة منهم تؤدي ما يجب عليها للملك من التجهيل الى غير ذلك من هيئات القوة والضعف ومنقوش على الحائط الشمالي لهذا الإيوان ما معناه

ان الملك سبتي حارب كثيرا من أهل آسيا كالارمن والعراقيين والشاذو ويرى في بعض النقوش ان هذا الملك في عربته داخل في الحرب والشاذو منهزمون أمامه شر هزيمة وقد أوقع بهم ضربا وطعنا وكأَنهم في هزيمتهم يدخلون قلعة من القلاع ويرى في واقعة أخرى أنه هزم أخصامه وأتى بكثير منهم أسرى ومربهم على جلة قلاع وقابله أمراء دولته يهنئونه بالنصرة عليهم وعلى الحائط الجنوبي في جهة الخارج نقوش تدل على واقعة حصلت فيها النصر للملك سيزاك أول ملوك العائلة الثانية والعشرين وهو يرى فيها تأثيرا يده كأنه يفتك بالأسرى الجائنين تحت أقدامه

ويرى في الجهة الشمالية أيضا كأن المعبود أمون رع مرسوم مع امرأة هي رمز لمضر العليا وكلاهما واقف تجاه الملك وكان نحو مائة وخمسين انسانا يسيرون خلف المقدسين وهم يحدقون بنظرهم من نحو قلعة أو مدينة يشير كل انسان منهم الى قبيلة من التي تغلب عليها ويقدمونها هدية اليه

ويرى في الحائط العمودي مع هذا الحائط لوح كبير الى الجهة الشرقية عليه قصيدة لبنطوور الشاعر يمدح بهارميسيس الاكبر ويهينه بتصاره على أمة الخيتاس وبحجوار هذه القصيدة نقوش تدل على شروط الصلح بينه وبين تلك الامة في السنة الحادية والعشرين من حكمه

ويوجد بالقرب من هذا الايوان مبان متخربة قديمة من أهمها مسلة من الجرانيت يبلغ ارتفاعها نحو ٣٢,٢ م وهي من صنع الملكة هاتاسوبنت تحتمس الاول وأخت الثاني والثالث

وفي أسفلها خط أفقي يؤخذ منه أن قمة هذه المسلة كانت مغطاة بطبقة من الذهب ولعل المراد بالقمة شبه الهرم الذي باعلاها وأن هذه المسلة هي ونظيرتها التي كسرت صنعتا في سبعة شهور من ابتداء قطعهما من الجبل الى أن تمت زخرفتهما ومن ملاحظة نقوشها يستدل على أنها كانت مموهة بالطلاء الذهبي وهذه المسلة هي أرفع مسلة صنعها المصريون وهي تزيد على المسلة التي نقلت الى باريس بنحو ١١ م

ويوجد هناك رسم الملكة هاتاسو بين قرنيها قرص الشمس وهى بصورة رجل لان شرف ديانة المصريين والملك يمنع من رسم امرأة على الآثار وداخل هذا الباب باب آخر أمامه مسلتان صغيرتان مزخرفتان بأحسن النقوش ثم دخلنا فى تلك الابنية المخربة حتى وصلنا الى عدة أمكنة بنيت قبل الايوان المتقدم بعدة قرون وهى من مباني العائلة النائية عشرة وبها أحد فراعنة تلك العائلة وهو المسمى ازوررتن الاول وهو من أعظم ملوك هذه العائلة أبهة وفخرا واسمه منقوش على بقايا بعض الاعمدة وهذه البقايا وان كانت قليلة لكنها جذيرة بمزيد الاعتناء لانها تسبق الهجرة بأكثر من ٢٠ قرنا وكانت باحدى زوايا هذا القصر المتهدم قاعة تسمى قاعة الكرنك نقلت الى باريس بعد كثير من المشقة والعناء ثم سرننا الى الجهة الجنوبية من ايوان الكرنك قرأنا أربعة أبواب بعضها داخل بعض على ابعاد معينة يسمى الثالث بباب الملك هوروس أحد ملوك العائلة الثامنة عشرة وهذا الملك ممن جعلوا جل اهتمامهم زخرفة المباني لا القوة والمتانة وبقرب هذا الايوان معبد باسم الاله خونس وقد حفر هناك بعض السياحين فاكتشف ١٢ قاعة على احداها صورة اله له سبعة رؤس ولم يوجد مثله عند المصريين فيظهر أنه غريب ليس من آلهة المصريين وهناك معبد بقرب سراى الكرنك باسم طهرافه أحد ملوك الحبشة وفى نقوش الكرنك أن بعض الكهنة اختلس الملك ووضع له كرتوشا بين كراتيش الملوك ويشاهد فى المعبد أثر قدمين عليهما نقوش تدل على أن هذا المكان كانت تقصده الجحاح من كل مكان وانه كان عندهم المحل الاقدس وفى أى مكان كانت تمتد أقطارنا نبصر أطلال المباني الشاهقة والقصور الكبيرة

وبعد أن شاهدنا جميع تلك الآثار ومتعنا برؤيتها الابصار عدنا الى السفينة فمكثنا بها ريثما تناولنا الطعام واسترحنا من الآلام ثم فارقنا عند الساعة الرابعة بعد الظهر لمشاهدة ما نراه أمامنا من الآثار الاقصرية التى بينها وبين آثار الكرنك تمام التشابه من حيث اختلاف مؤسسيها وأغلبها داخل فى مساكن البلدة بحيث لم يعد له أثر ظاهر

وتاريخها أبسط وأقل شططا وأقدم هذه المباني ما بنى في زمن نحموش الثالث
وتمايله فائمة للآن تجاه النيل وما بها من النقوش والآثار مختص بولادته وتربيته
في حياة الآلهة فقد رأينا بها ما يدل على أن أحد الكهنة بشرأه بالجل فيه ثم
بأنه سربى في حياة الآلهة وأنه سيكون من أعظم ملوك مصر قوة وسطوة وقد تمكن
منه المكبر حتى لقب نفسه ملك المصريين (منف وطيبة) والقطرين (الوجهين
القبلى والجري) والخافقين (آسيا وافريقيه) وادعى الألوهية التامة والقدرة المطلقة
وبهذه البري رسوم كثيرة كلها جديرة بمزيد الاعتناء ويؤخذ من بعض علامات عليها
أن القبط كانت استعملت بعضها مساكن والبعض كنائس كما يؤخذ من محرابهم الذى
لا يزال بالجهة الجنوبية ويجانبها الشمالى دهليز من أعمدة نصبا من نولى الملك بعد
بانيها واتخذها طريقا للسراى التى بناها رمسيس الأكبر ويرى على هذه العمدة أثر أبهة
عظيمة ومجد تليد فسرنا بين هاتيك العمدة حتى وصلنا تلك السراى وإذا بداخلها فضاء
متسع النواحي يبلغ ٢٥٠٠ م مربع يحيط به دهليز مسقوف وبها كثير من العمدة
العظيمة التى استعمل بعضها فى مسجد سيدى أبى الحجاج الذى اتخذ فى الجهة الشرقية
من هذه السراى وبها أربع صور لرئيس الأكبر موضوعة على استقامة واحدة
من الشرق الى الغرب يبلغ ارتفاع كل منها ٢٠ قدما وهو قابض على صورة ختم
وصكوك لتنفيد أشغال المملكة وتحت احدى ذراعيه صورة ابنته أو زوجته وأمام
باب هذه السراى المسلة التى على يسار الداخل وهى قرينة المسلة التى نقلها
الفرنسيس الى بلادهم ويبلغ ارتفاعها ٢٢,٨ م ووزنها ٨٠٠٠ قنطار وعليها كثير
من النقوش الغائرة الباهرة الدالة على أن رمسيس الثانى ابن الشمس ومحبوبها وهو
الله الخير وسلمان الدنيا وقاهر الامم وأمير الامراء وأنه قد زين مدينة طيبة بالمباني
التي لا تنفى ولا تغيرها الايام

وليعلم أن المسلات كانت عند المصريين دليلا على البقاء ولذلك لا توجد الا أمام
ايوان كما أن أبا الهول عندهم كان دليلا على القدرة التامة والسلطة المطلقة

(ويوجد في الجهة الشرقية من الحائط الشمالى مواضع داخله في الحائط كانت موضوعة بها موانع الصواعق وان كان اختراعها معدودا حديث العهد) ويرى على الباب من الرسوم ما ينبي عن وقائع رمسيس واتصاره تقليدا لما فعله والده في سراى الكرنك

ويعلم من جميع هذه الآثار أنه حصل فيها ترميم قبل الميلاد كما يستدل على أن من أصلح هذه المباني هو أحد ملوك الحبشة المدعو سباقون

ثم من بعد مشاهدة تلك الآثار عدنا الى الباخرة ولم يبق علينا من آثار مدينة طيوة الا ما يوجد في مدينة هبوف ~~فكنا~~ بها نحو الساعة ثم خرجنا قاصدين منزل حضرة احمد افندى عياد أحد وجهاء تلك البلدة ووكيل قنصل انكلترا والبروسيا والبلجيكا اجابة لدعوة منه ولولم يكن من مآثر السياحة الا التعرف بالرجال الذين لهم الحظ الاوفر من الآداب والتهذيب ودمائة الاخلاق وكرم الطباع لكفى ذلك حاملا عليها وباعثا على احتمال شدائدنا ولا تحمل هذه الاوراق جميع من تعرفنا به وشرح العلائق التى أخذت من القلوب مأخذها غير أنا لانهممل ذلك بالكلية حتى يكون اجتماعا بالرحلة وداعيا الى أسف القارئ ومن الامثال (ما لا يدرك كله لا يترك كله) والنفس تراح للغرب ارتياح الظمان الى برد الشراب

فما نعه من الآثار الجليله المعربة عن كمال اخلاص الوطنية احتفالهم بنا في أية بلدة حللنا بها وكان من ذلك أنه حينما رست بنا الباخرة على بلدة الاقصر قابلنا حضرة احمد افندى مصطفى عياد وبعد أن تبادلنا التحايا وعبارات السلام فى السفينة رغب أن توجه الى منزله ليلة الاثنين الثانى والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ وطلب من حضرة رئيس الارسالية تلبية طلبه لما أن ذلك عادة له مع عموم السياحين بتلك الجهات فاجابه الى طلبه فأرانا من البشاشة وارتياحه الينا وكرامه لنا ما ينبغي أن يصنعه الصديق عند وفود صديقه وطلب أن يثبت كل منا اسمه فى دفتر هناك معد للسياحين فكان ذلك ولقد شاهدنا عنده عددا عظيما من الدفاتر التى ملئت صحائفها

باسماء السياحين من ملوك وأكابر أوروبا وأمريكا وآسيا وأحيا ليلته بالاذكار أولا ثم
بقراءة المولد الشريف ثانيا وقبل الاقتتاح في قراءة المولد الشريف قام أحد الفضلاء
من تلك البلدة في وسط الزادى وأنشد

لاح السرور وأشرقت أنواره * بصعيد مصر فخبذا زواره
بقدومكم تزهو البلاد جميعها * وعلى الاخص الاقصرين فخاره
فعليكم منى السلام تحية * تهدي لجمع عندنا أقداره

فقام على أثره الشيخ محمد المهدي أحد طلبة دار العلوم وارتجل خطبة وجيزة وهي
سادق (ان من الواجب أن يقابل الجيل بمثله وان حضرة الفاضل احمد افندي عباد
قد أبان عن كمال عنايته وجميل مسرته بنا ولا يسعنا الا أن نرفع لحضرته ألوية الشكر
ونثنى بلسان واحد على همته في عموم الاندية بالثناء الجميل وأن هذا الاثر العظيم
لا يصدر الا من رجل خيري محب للوطن العزيز وأهله مبرهن على صدق اخلاصه
للعظرة الفخيمة الخديوية أدامها الله معزة برجالها الكرام ووزرائها الفخام آمين)
وبعد أن صفق الجميع طربا لهذه الكلمات صغت الاذان لسماع المولد الشريف
وعند تمامه قام حضرة الاستاذ الشيخ محمد سلامه أحد معلمي المدرسة المذكورة وقال
(كل له غرض يسعى ليدركه * والحري يجعل ادراكه العلا غرضه

أيها الفضلاء هذه ليلة أشرقت أنوارها وتفتحت أزهارها لما عطر الارحاء من
الاحاديث والاذكار ولو كانت الاشجار أقلاما والبحار مدادا والجوارح ألسنا
ماوفينا بشكر هذه اليد البيضاء ولكني أقول كما قال أبو الطيب

على قدر أهل الزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

ولا غرابة فيما أبداه فهو من شجرة طيبة سطع عليها ضياء الامام الخطير هو مولانا
عباس باشا حلي الثاني مآله الله باليمن والاقبال ما تعاقب الملوك وأشرق النيران
(والسلام)

ثم تلاه الشيخ احمد الازهرى أحد طلبة المدرسة المذكورة فقال
سادنى (والله لو كان للسروور جسم يتبدى للعيان لما تبدى الا في هذه الليلة التي
أشرقت أنوارها باجتماع أهل المعارف فيها وتم احيائها بالاذكار والقصة الشريفة
النبوية ولما كان السبب المهم في هذا الامر الجليل الذى يستوجب الثناء الجليل هو
حضرة الفاضل احمد افندى مصطفى عياد وقفت هذا الموقف والتزمت أن أقدم
لحضرتيه واجبات الشكر مكافأة له على ما قام به من هذا الامر المستحسن على رأى
من قال

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم يسعد الحال
ولكن عند ما نهت فكرى وبجنت فى حافظتى لم أجد جملة تليق بمدحه فحملتني
هذه الحالة على الاعتراف بالعجز والقيام بشكره (والعجز عن شكركم ياسادى شكر)
على ألى أقول

وانى قاصر قولاً فيامن * أردت مديحه قل ما تشاء
هذا وأرجو من الله أن يديم لنا الحضرة الفخيمة الخديوية ويمتدنا عموماً بتوجه
عنايتها الينا والسلام)

ثم قام على الاثر الشيخ محمد الابيارى أحد طلبة المدرسة المذكورة فقال
(أيها السادة الفضلاء انا نرفع أكف الضراعة والابتهال لذى الجلال أن يعلى قدر
حكومتنا الفخيمة العباسية ورجالها ذوى الاعمال المرضية اذ كانوا سببا في حصول
الخير لكم وعاليكم سادنى أن تقدموا واجبات الشكر لمن أجرى الخير العظيم في هذه
الليلة الغراء وقابلكم بصدر منشرح وهو البارع الماجد احمد افندى مصطفى عياد
وشأؤه بلسان الحال

ولو أنى ملأت الارض مدحا * لكنت مقصرا فيما أقول
فلا غرو أنه الرجل المتوثج بوشاح الكرامة وأن لسان حاله يقول
ونكرم جازنا مادام فينا * وتبعه الكرامة حيث مالا)

وكان على رأس كل خطابة يصفق الحاضرون طربا وعند ذكر مولانا الخديوي يكررون (افندمن جوق يشا) وفي مقدمتهم حضرة الفاضل السيد بك بيومي وقد قدم حضرة الداعي المذكور لرئيس الارسالية انه يود أن الحكومة تجعل هناك مدرسة أميرية لما رأى أن التعليم هناك في مدارس الامريكان غير جيد ولما شاهد من تقدم المدارس الاميرية ورغبات الاهلين وعند عودتنا رفع الى حضرته تقريراً بتميم ذلك وقد أظهر حضرة الرئيس ارتياحه لذلك الامر

ثم خرجنا من منزله وقضينا ما بقى من الليل في السفينة ولما أتت الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاثنين الثاني والعشرين من شعبان المكرم سنة ١٣٠٩ ركبنا في الزوارق حتى أدركنا شاطئ النيل الغربي فركبنا المطايا وسرنا قاصدين مدينة هيو ولم نزل سائرين حتى وصلنا معبدا صغيرا بناه الملك طوطمس الثالث من ملوك العائلة النامنة عشرة وكان ميالا الى المعالي حتى بلغت مصر في زمنه أوج الكمال وقد توغل في البلاد حتى اجتاز نهر الفرات واستولى على نينوى وجنته الآن بمخف الجزيرة وهذا المعبد وان كان صغيرا خلوا من القاعات وغفلا من الفخامة والعظم فهو محلى بجميل الصور وبهي الالوان

(اليوم العاشر)
(آثار)
مدينة هيو

ثم ركبنا قليلا حتى دخلنا دير المدينة وهو برقي متخربة بناها أحد ملوك البطالسة وفيها صور كثير من الآلهة وهي مسورة بسور من اللبن محتوية على ثلاث قاعات احداها مزينة بالرسوم التي تنبئ عن حالة الروح بعد الوفاة حيث يوجد فيها صورة ميزان توزن به الاعمال وصورة الروح تستغيث بالآلهة وفيها صور تمحو الاربعين من القضاة تحكم على المذنبين وتخلي الطائعين ولذلك سميت بقاعة فصل القضاء والقاعتان الاخرتان فيهما كثير من صور الملوك والامراء ويوجد تجاه باب هذا المعبد باب آخر يوصل الى رحبة فيها أربعة أعمدة تحمل سقفها قد لعبت يد الحدثان بها وأغلب ألوان نقوش هذا المعبد باقية على ما كانت عليه من الرنق والبهجة ولكن كتابته ليست متقنة حق الاتقان كغيره من المعابد والسرايات ومن ذلك يستدل على

ضعف الامة في ذاك الزمن وتنتهى أعمدة هذه البرجى من أعلى بشكل يشبه رؤس البشيين وجميع نقوشه نحت في الاحجار

ثم سرنا بعد ذلك نريد برجى وسراى رمسيس الثالث فلما أدركناها واذا ييلب عظيم الى الجهة الجنوبية منقوش عليه نقوش تدل على أن هذا الملك حارب الليبيين ومن تجمع معهم من بلاد الشام وجزائر البحر الابيض وانتصر عليهم حيث يرى عليه من جهة الداخل صورة رمسيس يضرب أعداءه الجائين على ركبهم بدبوس ومعبوده يقدم اليه آلة الحرب ويقول له قد اتجهت جهة الشمال وأرغب أن تكون بلاد كنعان في قبضتك وتحت تصرفك وان أهالى تلك الجهة تأتيت بفضتها وزهبا وأوجه وجهى الى الشرق وأريد أن العرب تهدي اليك الاخشاب الثمينة والافاويه (البهارات) وانظر الى جهة الغرب وأريد أن بلاد تهنو ترف اليك عرائس أبكار مدائنها

ثم سرنا نحو عشرين مترا فوجدنا بابا مقابلا للاول على يمين الداخل منه ويساره صورة لرمسيس من الحجر الازرق (وموضع كانت به مانعة الصواعق) وهذا الباب على مقدار عظيم من الكبر والارتفاع ولما دخلناه رأينا ساحته عظيمة جدا فيها تمثال لرمسيس متكئ على أحد الاكفاف ولم نر أحسن من هذه الساحة وما اشتملت عليه من عجائب النقوش والتماثيل ثم سرنا الى ساحة ثانية داخل الساحة الاولى ونظرنا الى جهة الباب من الداخل فرأينا صورتي الالهين أمون وموت وعلى الجهة الثانية للباب صورة رمسيس يقدم لهما الاسرى على ثلاثة صفوف كل صف من مملكة وكلهم من سواحل البحر الابيض وجزائره تعصبوا مع أهل آسيا على محاربة مصر وقهرها فقاومهم رمسيس الثالث وانتصر عليهم برا وبحرا وهذه الساحة الثانية من أبداع المباني المصرية حيث ترى فيها دهاليز لطيفة الوضع من الجهات الاربع يتقدم الشمالى والجنوبى منها أعمدة ضخام مزدانة بجميل الصور وعظيم التماثيل

والدهليزان الشرق والغربى سقوفهما على أكفاف نستند عليهما صورة الملك ويرى بوسط هذه الساحة كثير من العمود بعضها ملقى على الارض وبعضها مكسر على أغلبها اسم الملك رمسيس الثالث وكثير من النقوش وأنواع الزخرفه

ويلوح أن الاقباط استعملت هذه الساحة كنيسة عند ما استوطنت مدينة هيو
ونقوش هذه الساحة ودهاليزها لا تكاد تحصر فنها على يسار الداخل صورة واقعة
بين رمسيس وأهل آسيا وأنه بينهم بركبته ينال منهم ولا ينالون منه ومنها على يمينه
صورة قواده ورؤساء جيوشه يعرضون عليه الاسرى ويظهر من النقوش أن الاحياء
من الاسارى ألف والاموات ثلاثة آلاف وبقرب ذلك بعض نقوش تتعلق بتلك
الواقعة ولكنها محيت بحيث لا تمكن قراءتها ويرى الملك في لوحة غير هذه داخلا
مصر وأمامه الاسرى مكبله بالقيود وفي أخرى صورتهم وهو يقدمهم الى المعبودين
كل هذه الرسوم في الجزء الاسفل من الحائط الشمالى والشرقى والجنوبى وأما فى أعلاها
فيرى رمسيس خارجا من سرايه فى موكب حافل حيث يحمله اثناعشر رجلا من
عظماء رجال دوائيه وخلفه تسعة من كبار قرابته يمشون صفين ومن جهة الامام
والخلف جم غفير من الضباط والعساكر أمامهم دست الموسيقى يشنفون الاسماع
بالخانهم وعلى رأسه تاج مصر السفلى عليه ريش النعام وبجذائه صورة أبى الهول
من الذهب دليل على كمال العقل والتبصر وصورة أسد من ذهب كذلك دليل على
الشجاعة والاقدام ويسير هكذا حتى يدخل على المعبود فيحمله تسعة عشر من رؤساء
الكهنة ويطوفون به وفى هذه الحالة تظهر زوجته بصورة متفرجة ثم تدعو الكهنة
للملك بكثير من الدعوات وبعد ذلك يخرج رئيس الكهنة أربعة من الطير يزعمون أنها
أولاد أوزيريس وأنها حافظة للنقط الاربع الاصلية فيرسلها لتذخر فى أربع جهات
الدنيا أن رمسيس الثالث تقلد تاج مصر السفلى والعليا وفى هذه الحالة يرى الملك
كانه يحصد جرزة من القمح ويتقدمها الى المعبود اظهارا لقيامه بما يجب عليه من
الزرع الذى هو السبب الوحيد فى ثروة بلاده ثم تلو الكهنة صلوات طويلة وبعد
ذلك ينصرف الملك بموكبه الى مقره ويرى فى الحائط الشمالى أيضا عدة ألواح كلها
دالة على ما كان له من الشجاعة والقوة فى بعض الجهات يرى فى معمة القتال وفى
بعضها يرى منتظما لجيشه خطيبا فيما بينهم وفى بعضها كنه يقدم الاسرى للالهة

وبعد الاموات منهم أمام المعبود وتارة كانه يقاتل أسدا. وقتله الى غير ذلك من الاحوال وأما ماهو مرسوم على الجدار الجنوبي فكله عبارة عن عاداتهم في المواسم والاعياد التي كانت بينهم في تلك الازمان وهي تشبه من بعض الوجوه عاداتنا في هذه الازمان ولعلها بقيت بطريق الوراثة ولكن مغايرة الاديان وكرور الازمان غيرت منها الجزء المهم ولم يبق الا بعض المناسبات الضعيفة ثم دخلنا قاعة فوجدنا فيها الآلهة تصب على رأس رمسيس ماء التطهير وتعطيه رمز القوة والحياة وهو يقدم لهم القربان من الازهار وأكلهم البشنيين وغيرها ثم خرجنا منها وصعدنا على سلم تبلغ درجاته ١٢٢ وهو بين جائطين مزدجين بأنواع الصور والنقوش التي أعظمها تمثال الثور الابيض المعبود عندهم وهو صورة بارزة عظيمة وترى عظماء الدولة متزينين بما يشعر بوظائفهم وبعد ذلك خرجنا من تلك السراى قاصدين الباخرة فسرنا بين أحجار متفرقة وصخور متشتة بين المزارع حتى مررنا على تمثالين لامنتحبت الثالث من ملوك العائلة الثامنة عشرة وهما على هيئة ملكين جالسين على تختيهما وسط المزارع وجههما الى الشرق متقاربين وعلى ساق أحدهما تمثال صغير واصل الى ركبته

قال بعض المؤرخين أن هذين التمثالين كانا على باب هيكل درس ولم يبق منه الا أحجار بالية متفرقة في المزارع

وارتفاع التمثال مع ماهو جالس عليه نحو ١٩,٦٠ م وطول ساقه ٦ م وطول القدم ٣,٢٠ م وطول الاصبع الوسطى ١,٣٨ م وهاتان الصورتان في غاية النضرة ويقال انهما كانا يعبدان بسبب أن أحدهما كان عند الصباح يسمع منه صوت وسببه أن جوف الصورة خال وكان الطل يدخل فيه ليلا حتى اذا ارتفعت الشمس خرج الطل من الداخل فيسمع لخروجه صوت فكان ينظن عموم المصريين أن هذا صوت الاله حتى جاءت الرومان نخطأت ذلك وسدت مابه من الثقوب بما استعمل في اصلاحه فلم يسمع بعدها الصوت فتركت عبادتهما

ثم توجهنا الى الباخرة واسترحنا فيها حتى صار ظل الشئ مثليه ثم دعانا حضرة
احمد افندى عياد لرؤية ملاعب الخيول ومسابقتها فجلسنا هناك في حديقة وأمامنا
الخيول يسابق بها مهرة الفرسان وكان حضرة عن أتقن المسابقة وكانت الخيول
في غاية اللطف ولم نزل كذلك حتى غربت الشمس وتوجهنا الى الباخرة وبتنا بها
تلك الليلة

(وصف عام ثم ان مدينة طيبة (بالطاء أوبالتاء) أوطيب واقعة بالصعيد الاعلى على جاني
النيل تملأ مبانيها ما بين الجبلين تبعد عن اصوان بنحو ١٨٠٠ غلوة وعن البحر الاحمر
بنحو ٦١٣٠ غلوة وعن عين شمس بنحو ٤٨٦٠ غلوة ويشغل أراضيها الآن بلاد الاقصر
والكرنك والقرنه وهبو وكانت تبلغ مساحتها ١٧,٢٦٠,٠٠٠ م فهي اذن أكبر من
ضعف مساحة مصر الحالية والآثار التي هناك تدل على أن الاهالى كانوا يبنون
مساكنهم باللبن الذي لم يحرق وبالأحجار المأخوذة مما جاورها من الجبلين وكانت بيوتهم
مركبة من خمس طبقات فاقل وقد كان وضع منازلهم داخل المدينة شيها بوضع
منازلنا الآن بمعنى أن حاراتهم ليست واسعة لشدة الحرارة هناك كما عليه أغلب
البلاد الشرقية اللهم الامواضع التجارة والمواسم فانها أوسع من غيرها وتلك الآثار
تدلنا على أن مباني الامراء والملوك كانت متميزة بالفخامة والمتانة والزخرفة والتماثيل
الهائلة والعجائب البديعة وكانت منفردة كأنهم يشيرون بانفرادها في المكان الى
انفرادهم في المكانة ويستفاد من النقوش والآثار كثرة عدد رجالها الحربية وقد
غالى بعض المؤرخين في ذلك فقال كان بها ألف ألف مقاتل وهو كلام يلوح على
وجهه الخرف كقول بعضهم انه كان يسكنها نحو ٧ ملايين من الانفس والظاهر أن
هذا المؤرخ اشتبه عليه اسم القطر باسم المدينة (وكان القطر اذ ذاك يسمى باسم
طيبة) كما أن لفظة مصر الآن تطلق على العاصمة وعلى القطر وهذا توجيه أقرب
الى الصواب والمؤرخون مع كثرة عنايتهم بها وكأبتهم عليها لم يذكروا تاريخ مبدئها
غير أنه نقل عن هيرودوت أن بناءها كان قبل الهجرة بأكثر من اثني عشر ألف سنة

ونقل عن أفلاطون الذى كان تلميذا لكهنة مصر أن المصريين كانوا يعلمون فن النقش والرسم قبل الهجرة بأكثر من عشرة آلاف سنة والذى لم يخالف فيه أحد أنها كانت عاصمة للعائلتين الحادية عشرة والثانية عشرة قبل الهجرة بثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت قسبة وادى النيل فى عهد العائلة الثالثة عشرة وقال بعضهم انها كانت قسبة لمصر والنوبة والحبشة والآثار التى خلف الشلال تدل على ذلك ويدل على هذا دلالة واضحة أن السياحين الذين زاروا بلاد الحبشة لم ينسبوا لها تمدنا من نفسها بل أسندوه الى مصر وهو ظاهر اذ وصول مصر الى هذه الدرجة الرفيعة يقضى بأنه كانت لها علاقات تامة مع مجاورىها وأنها صاحبة الغلبة والنفوذ ولقد كانت تلك المدينة الطائرة الصيت محلا لورود التجارة من أواسط أفريقية وبلاد الهند وكان يجمع فيها ما يحصل من الغلال والخراج ويصرف منها الى الجهات الأخرى كبلاد كنعان وبعضه يقدم للقربان ويفيد صحة هذا وضعها الجغرافى لانها بين البحر الأبيض والأحمر الموصل للهندى ونهر النيل عظيم قابل لان تجرى فيه السفن وكان طريقا للتجارة التى كانت تأتى لتلك المدينة الشهيرة فى تلك الأزمان فكانت أشبه شئ بمدينة الاسكندرية أيام شهرتها غير أن طبيبة كانت أضخم منها وأروج لان القراعنة كانت مهدت لها الطرق البرية والبحرية لاسيما فى عصر (سيزوستريس) فانه ملك الاراضى للاهلين وقسم عليهم مياه النيل بحفر الترع والجداول لاجل الرى من جهة ونقل البضائع من جهة أخرى وبلغت مصر فى زمنه مبلغا عظيما حتى قال بعضهم ان فتح بلاد الهند كان على يد هذا الرجل وكان همه فى الملاحة والتجارة والفتوحات وكانت طبيبة اذذاك تجر أذيال التيه على جميع بلدان العالم بحيث كانت تستحق أن تسمى مدينة الدنيا فكانت من حيث الزخرفة تشبه باريس الآن ومن حيث التجارة والصناعة كلندن وتفرد طيوه هذه بانها كانت مركز ديانة ذلك الزمن وكعبة يؤمها الناس من أقاصى البلاد فى موااسمهم وأعيادهم ووصلت بها الكهنة الى درجة سامية فزخرفوا المعابد وكانت لهم كلمة مسموعة من العامة والخاصة وأخذوا

يدون جناح نفوذهم على بلاد كثيرة وطارت شهرتهم في العالم الانساني فلا مانع من أن نشبهها أيضا بمدينة رومة عاصمة ايطاليا من حيث كونها مركز ديانة السيد المسيح على نبينا وعليه السلام والانسان اذا تصور بها هذه الدرجة التي ربما شك في صحتها يقع في نفسه أنها لا تمحى من صحيفة الوجود ولا تصير عبارة عن واد مغطى بالعخور الاثرية ولكن اذا حكم العادة ونظر في عوامل الضعف لا يداخله ريب في شأن سقوطها فان نوالى اغارات الام عليها مرارا كما أفاد ذلك التاريخ جعلها تخط عن درجتها شيئا فشيئا وتأخذ طريق التأخر بعد أن كانت آخذة في طريق التقدم

ومن ضمن ذلك ظهور مدينة منف لانها شاركتها في الشهرة ومتى انقسمت الرفعة ضاعت أجهتها ومع هذا لم تنقصها منف نقضا محسوسا

ولا ننس ما نقله التاريخ عن الفرس فانهم شنوا الغارة على مصر واستولوا عليها وأهانوا مدينة منف فخرقوا معابدها ونهبوا حليها وصيروها عطلا وأذلوا الكهنة والملك وفعلوا هذه الافعال القبيحة سنة ١١٧٩ قبل الهجرة وليتها تركت بعد ذلك بل عمت بها بختنصر وأهان أهلها وأرسل الكثير منهم الى بابل حيث بلاده وماله ثم اشتعلت بعد ذلك نيران الفتن الداخلية خصوصا بعد استيلاء البطالسة فقد أباح بطليموس لاطيرتهم بها بعد أن حاصرها نحو سنتين عقابا لها على جريمتها سنة ٧٠٤ قبل الهجرة وقد دهمتها قياصرة الرومان وأدخلوا الديانة المسيحية فأخرت الديانة القديمة تأخيرا بينا وأتلفوا غالب المباني ومع هذه الاحوال الشديدة كانت طيبة مدينة شهيرة ذات قوة وتجارة رابحة وفي سنة ٣٨٩ بعد المسيح أيام القيصر طيودوس تحرب ما أبقت له الايام من معابدها وكان سبب ذلك الغاء الديانة القديمة تماما وكذلك المعابد والتمائيل التي كانت بمصر عموما وكان ذلك سببا في ترك الكتابة البريائية التي كانت معلومة في ذلك الزمن فدخلت تحت حجاب الخفاء وقد خربها أيام أغسطس رجل يقال له غاليلوس بأمر الملك بحجة أنها أى طبوه مركز الفتنه والفساد

ومن هذا الحين انقسمت الى كفور صغيرة تسكنها شُرذمة قليلة من الفلاحين الى يومنا هذا فانظر أيها الناقد بالفكر الثاقب والرأى الصائب هل تبقى هذه المدينة غالبية على أمرها مع هذه المؤثرات التي لا تبقى معها الجبال الرواسخ أظن أن بقاءها أبعد من البعيد ومقاومتها لتلك الحوادث المتراكمة تجعلنا نصدق بما قيل في شأنها مما نقلته التواريخ المتواترة على علو مكانتها وانفرادها بالشرف والمنعة فانه من المستحيل أن مدينة منخطة تبقى هذه الدهور واقفة أمام الحوادث بل لابد أن تكون مدينة يسير مجديها الركبان في كافة بقاع المعمورة كما يستدل من الآثار الهائلة التي لا نقول أفناها الزمان وانما نقول هي التي أفتته كأنها هي التي تمر عليه

(مقارنة
عماراها
من الأقطار)

ولو تفحصنا التواريخ القديمة لوجدناها مشحونة بالكلام على المباني المصرية خصوصا عمارات طيبة وأما العمارات الاجنبية كممارات الروم فانك تجدها تأخذ القليل من الصنائف ولا يذكر فيها لفظ غريبة ولا كلمة تعجب فتلا عمارة الرومان أيام بلوغ أثينا غاية حضارتها وشهرتها كانت أقل بكثير من مباني الكرنك فكان عندهم معبد بنى يشار اليه باطراف البنان ولم يكن شيئا يذكر في جانب ماشيده المصريون في طيبة وفي مدة دخول الرومان في أثينا بنى فيها معبد كان مشهورا بالفخامة والزخرفة والمثانة ومع هذا درست آثاره الآن وصار نسيا منسيا وأما المقارنة بين طيبة وتدمر وبعلبك فان المؤرخين خصوصا السياحين قبل الاستكشافات كانوا يزعمون أن المباني التي بتدمر أجمل وأرقى من طيبة إذ من مباني تدمر معبد الشمس وكان داخل سور طوله ٤٦ م وعرضه ٢١ م وبه ٦٤ عمودا قطر الواحد منها ١,٤ م وارتفاعه ١٢ مترا وكان العجب كله ليس من المباني العظيمة بل من الزخرفة في جميع أفتحائها مع مراعاة نسب الاوضاع فانها غاية في الانقان وأما بعد الاستكشافات الحديثة وفك الرموز الهيروغليفية فلم يبق لذلك الزعم أثر إذ ظهر أن عمارة طيبة تفوق تلك من حيث كبر الامتدادات وفخامة المباني وارتفاعها فسرأى الكرنك وحدها تفوق ذلك المعبد بكثير من حيث الكبر وكثرة الصور الفخمة لاسيما صور أبي الهول

التي كانت تمتد على امتداد الطريق الخارجية من السراى الى بعد عظيم بحيث انها لا تنقص عن ١٦٠٠ صورة هائلة تحتاج الى همة عظيمة وعمد القصر التي بالكرك تفوق ذيك العمودين اللذين يتدمر من حيث الكثرة والارتفاع فان العمودين المذكورين طول الواحد منهما ١٩ مترا بخلاف أعمدة الكرك فان طول الواحد منها ٢٢ م ولم يكن يتدمر مسلات مع أنها من أنفس الآثار وأما الكرك فكان به ثمانى مسلات  واجدة منها قطعة واحدة وبقايا الكرك وحده قدر بقايا تلك المدينة ومقابرها الشهيرة من حيث انها كانت أبراجا مربعة الشكل مربعة من خمس طبقات مبنية بالرخام الأبيض اللطيف، لاتساوى شيئا بالنسبة الى مقابر طيبة لان عمق أكبرها أى مقابر طيبة ١٢١ م بخلاف تلك اذ طولها لا يزيد عن ١٥ م على أن مقابر المصريين أكثر نقشا من تلك وعلى كل حال فمبانى المصريين انفردت بالابهة والفخامة دون غيرها وعمارة بعلبك على ما يرويه السياحون مثل عمارة تدمر وأكبر معبد بها طوله ٩٦ م وعرضه ٤٨ م وطول سوره ٢٩٩ م وعرضه ١٣٦ م ويدخل من باب شاهق الى رحبة منحنية الشكل تم الى ساحة مستطيلة وجميع مبانيه قدر سراى الاقصر ولوقوزنت مبانى رومة يتدمر لنقصت عنها على مالها من الشهرة الفاتكة وجميع آثارها تماثل المعبد القبلى للكرك فقط ثم ان كنيسة بطرس وهى عمارة جديدة قد صار طولها بما أضيف اليها من المبانى على ما قاله السياحون ٤٩٧ م وهذا الطول ينقص عن الطول بين أبى الهول الواقف أمام الباب الغربى لسراى الاقصر وبين القائم أمام الباب الشرقى وأما الاندلس ففيه قصر استورباله الذى طوله ٢٨٣ م وعرضه ٢٧١ م وهى مبان شاهقة تتصلها رحبات واسعة والمبانى التى فى باريس وان كانت عظيمة لكن لا توجد نسبة بين ماوضع فى مبانى المصريين من المواد وبين ماوضع فى تلك على أن تلك المبانى سريعة التخرىب لولا التحفظ عليها ولو قاومت أقل شئ من الحوادث لما ثبتت أمامه ثبات أبنية المصريين كما وضع مما تقدم والحق يقال ان مبانى المصريين لا يوجد نظائرهما

في العالم من أوله الى آخره لا قديما ولا حديثا من حيث المتانة والعظمة والدلالة على القوة الغريزية فسبحان مفعي هؤلاء الناس الذين اختصوا دون من سواهم بالقوة الجسدية والفكرية وعرفوا العلوم النافعة وأودعوها في رموز وجيزة لنفع من بعدهم حتى صاروا مثالا لكل تقدم ونجاح

ولما أتت الساعة الخامسة من صبيحة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ تحركت السفينة قاصدة ادفو فلما بلغت الساعة ثمانية ونصف رست على ارمنت وهي بلدة على الشاطئ الغربي للنيل بها كنسير من الانجبار والبساتين ووابورات الماء وبها ثلاثة مساجد بمنارات ومحكمة شرعية وقابريقة للسكر ومعامل للزجاج =

وقد اشتهرت بالكلاب الجيدة الحراسة ولذلك ترى أهلها يعتنون بتربية الكلاب واذا ولدت أنثاها عند أحدهم يخفي أولادها من الناس مخافة أن تنجب أطماعهم فيأخذوها وهم يهادون بها الاصدقاء والحكام ومن كانت له عندهم سابقة مودة وربما أخذوا عليها ثمنا عظيما

وانقد احتفل بنا حضرة قاضى المحكمة الشرعية هناك الشيخ حسين المرصفي وتناولنا عنده القهوة وأكرم وفادتنا ثم بارحناء بكل احترام ورأينا البلد وقضينا نحو ساعة فيه ولما عدنا الى الباخرة شرف حضرته لرد الزيارة فشكرناه على هذه العناية

ولقد توجه حضرة المستر دنلوب مع حضرة الشيخ محمد سلامة لاختبار تلامذة مدرستها وهي ليست من المدارس الاميرية ووضعها غير مناسب تعلم فيها اللغة الفرنسية والانكليزية يعلمها ناظرها وليست على مايرام من حيث التقدم ولذلك لم يفسرنا منها والاهالى يودون أن تضاف للدارس الاميرية ولم يتم ذلك وهذه البلدة ينبغي أن توجه اليها العناية من حيث التعليم لانها مركز من المراكز العظيمة وعند أهلها شغف زائد بتعلم العلوم ولا يجدون من هممة هذا الناظر ما يحقق أمانهم وتلك المدرسة بجنوب البلد ولنا الامل الوطيد في تحقيق آمال هؤلاء الناس الذين عرفوا ثمره العلوم

ولم يجدوا ما يوصلهم الى أغراضهم لقلّة المعلمين وعدم انتظام التعليم ولعل المستقبل في هذه البلدة يتحسن

ثم انطلق بنا الواور في الساعة العاشرة صباحا ولم يزل مسرعا ونحن نسرح الطرف في مناظر الشاطئين وفي خلال ذلك كانت تشتد الرياح تارة فكنا نسمع من تصفيق الامواج ورنات الرياح بأعمدة السفينة صوت أعواد لعبت بها بنان القيان والنهر مـكسو غلالة فضة * فإذا جرى سيلاً فشوب نضار

وإذا استقام رأيت صفحة مرهف * وإذا استدار رأيت عطف سوار
وبين الامواج والشواطئ هرج شديد وشقاق مديد والنبات يرمقهما بعيونه وبودأن لو كان عنده فصل الخطاب حتى انه ليتمايل كانه واجد ويضرع وهو راكع وساجد والريح لاترعوى والسفينة لاتلتوى والمناظر تارة منتظمة وأخرى غير منسجمة والجبلان حيناً يقتربان وطورا يفترقان كأنهما يريان تقلب الزمان وعوادى الحدثان وحينما جاءت الساعة الثانية بعد الظهر مررنا على اسنا وهي واقعة على الضفة الغربية للنيل وقد زحف عليها ولا بد أن تتقهقر عن مكانها لان المياه تغير على الشاطئ هناك بقوة عظيمة وجل التيار منحاز جهتها وغالب مبانها باللبن وأعجب شئ يسر الناظر رؤية ابراج الحمام هناك فترى أعالي البيوت محلاة بها كل برج عليه شرافات مرتفعة حسنة النسق ويرى الانسان حجارة البري التي هناك ملقاة على الشاطئ وبعض من مبانها كذلك وان كان الجزء المهم منها داخل البلد وعند العودة ان شاء الله نشبع الكلام عليها وعلى البلد وأرضها زراعية ولم تزل السفينة يحثها سائق البخار مارة بجبال شامخة ونباتات مزدوجة ومناظر بهجة حتى لبس الافق ثوب الاصيل وعانق الشمس وأحال بين النظر وبين ما على الشاطئ الى أن رست بعزبة المصرى ليلا وكان المبيت بها وهي قرية صغيرة جدا ليس بها ما يستحق الذكر وفي صبيحة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ قام الواور من

(اليوم
الثاني عشر
وبلدة ادفو)

قديمة واقعة على الضفة الغربية للنيل تبعد عنه بنحو ربع ساعة وهي إحدى
 مراكز مديرية الحدرد واقعة بين أسنا واسوان ولها سوق عظيمة تعقد يوم الأربعاء
 واقعة في الشمال الغربي منها ويبيع فيها أغلب ما يباع في الأسواق العظيمة فتباع فيها
 الحر والنعم والاقشة والعطارات والفواكه والملاآت التي تصنع غالباً ببلدة الخيم بالوجه
 القبلي وهي متقنة الصنعة وذلك البلد مورد السياحين لرؤية هيكله الشهير وأراضيه
 زراعية لطيفة غير أن المياه تجف عنها في كثير من السنة ويغلب على أهلها السكون
 وبه محكمة شرعية وشرطة ومكتب للبريد ومساجد وأنوال وطواحين ومعمل دجاج
 وصناع فخار ويظهر أن هذه البلدة لم تكن خصبة من قبل لما هو باق في بعض
 نواحيها من آثار الحفلة والتجمل وكانت قديماً من البلاد المعتبرة كما يدل عليه سعة
 أطلالها وكثرة آثارها وكانت تسمى قديماً عند المصريين (أطبو) وعند اليونان
 (أبو اينو بوليس لمانيا) ومعناها مدينة أبوليس الكبيرة وبها هيكل من (هيكل ادفو)
 أعظم الهياكل المصرية وهو موضوع في الشمال الغربي من تلك البلدة واعتنى
 بتطهيره من نحو عشرين سنة وقد بنى أيام البطالسة ابتدئ فيه زمن بطليموس
 الرحيم الذي كان يسمى (تلمى فيلامطور) أى محب أبيه لقب بذلك تهكماً لانه
 قتل أباه وتم زمن بطليموس الخمار واستمر تجديده ١٨٠ أو ١٩٠ سنة وكان وضع
 أساسه قديماً وإنما جدد البطالسة إذ من المحقق أن بطوطمس الثالث مباني فيه
 وبنى على شكل بناء هيكل دندره ويبلغ طوله ١٣٨ م وعرضه ٦٩ م أى أن الطول
 ضعف العرض وأعظم ارتفاع فيه ٣٥ م وهو مرتفع عن البلد يشاهد من نحو
 فرسخين ولذا يسمى عند أهالي البلد بالقلعة وبابه للجنوب مرتفع بقدر ١١١ قدماً
 انكليزية مزين هو وظاهر الهيكل بصور مختلفة منها صورة الإله هورس الذي بنى له
 هذا المعبد وأول ما يرى بعد باب المعبد ساحة مكشوفة واسعة في جنوبها ٣٢ عموداً
 على عین الداخل ويساره وفيها على عین الداخل في صف الباب باب يوصل الى سلم
 يصعد منه الى أعلى البرج يتكون من ٢٤ درجة وتجاه بابها باب آخر يوصل الى

رجبة بها ثمانية عشر عمودا وفيها غرفتان احدهما على اليمين والاخرى على اليسار أعدت احدهما لوضع الكتب المقدسة والثانية لغسل أيدي القسيس وتسمى رجة جهنم لما أن القسوس كانت تزيل بها الاوساخ ولعل المراد بها المعنوية أى الذنوب حتى تنج هذه التسمية وعلى أعمدتها وحيطانها نقوش كثيرة وكلمات واضحة لم يصبها من البلى شئ وسقفها جيد ويتوصل من هذه الرجة الى رجة ثالثة بها ١٢ عمودا وكانت محل المداولة ولذا يطلق عليها اسم الايوان وعلى يسار الداخل فيها صورة الالهة ابسس تتكلم مع الملاك كيلوبتره السادس ويظهر أنها معرضة عنه ويده اليسرى في يدها اليمنى ويجوارها الاله هوريس وجهه وجه صقر ويشتمل هذا الايوان على غرفتين احدهما كانت محل الخمر وهى جهة اليمين والى جهة اليسار كانت أجزاؤه ووراء ذلك رجة رابعة خصصت لاله النور ويسمى ابسس وفيها أيضا غرفتان احدهما على يسار الداخل وكانت محلا لوضع الجواهر الثينة والاشياء العزيزة الوجود والاخرى على اليمين وكانت معدة لتقديم الطعام وهناك رجة خامسة كانت معدة لتقديم الاشياء التى قربهم من الصقر المقدس وبها أيضا غرفتان احدهما كانت معدة لاله الحصاد والاخرى لتقديم القربان فى أول يوم من السنة فرحا بقدوم العام وفى هذه الرجة بابان من الجنوب يدخل الانسان من احدهما فيشاهد غرفا كثيرة متجاورة فمنها غرفة مخصوصة بالصلاة (لموت) التى يزعمون أنها ام البشر وأخرى مخصوصة بصلاتهم (لامون رع) ويرى هناك الملك يقبل الالهة وغرفة لعبادة (هانور) ثم محل خاص بالدعاء لاجل النصر عند الحروب يستغيثون فيه ويبتلون الى الاله حتى يحصل لهم الظفر على أعدائهم بحيث كانوا يعتقدون أنه لا يستجاب منهم ولا ينتصرون على أعدائهم الا بالدعاء فى هذا المكان وهناك غرفة معدة لموت الاله وصورته هناك تفرع الانسان وهو ينزع الحياة وغرفة أخرى محل وضعه ليعرض على الناس

ثم دخلنا غرفة هى محل ولادة الاله ثم غرفة توضع فيها العطريات والروائح الذكية لاجل أن توضع على الاله بعد ولادته ثم غرفة أخرى معدة لتربيته وأخرى لتقيطه

بالملايس بعد وضعه الى غير ذلك من هذه الامور التى يضحك منها العاقل ان كانوا يعتقدون كما أنبأنا به التاريخ ولعل الزمان هو الذى غير وبذل ولا غرابة فهو أبو العجائب وفى ظنى أن ناسا برعوا فى العلوم الى هذا الحد لا يخرفون هذا الحرف اللهم الا أن يكون هذا هو اعتقاد العامة منهم وداخل هذه الرحبة رحبة سادسة توصل الى المحراب المقدس وهو عبارة عن قطعة واحدة من حجر الجرانيت الازرق موضوعة فى جانب الحائط الاخير وكان يوضع فيه الصقر المقدس معبود ادفو

وأبواب الرحبات الست المتقدمة متقابلة فى اتجاه واحد بحيث ان من كان بالباب الاول يرى من بداخل الرحبة السادسة وهذا المحل باجعه محاط من ثلاث جهات الشمال والشرق والغرب بطريق ضيق يرينه وبين الحائط العموى لا يزيد اتساعه عن مترين من بعض جهاته وعلى الحائطين رسوم شتى فمنها صورة الملك (تلى فيلوپترا) يقابل أعدائه وآلهة أخرى كثيرة وهناك صورة شبكة فيها أنواع الاشياء من الصيد وغيره وصور سفن كثيرة وكلها غاية فى الحسن وشبكة أخرى بين أيدي اناس من الملوك وفيها جميع الاشياء وهم يسلطونها الى الاله (هورس) كأنهم يقولون ان جميع الاشياء لك لانى انا فيها ومن أعجب ما فى ذلك الحائط صورة هورس وهو يحارب جاموسة البحر التى يزعمون أنها اله الشر لكونها كانت تضر بمزروعاتهم ثم مركب أخرى سابحة فى البحر وفيها صورة الملك والاله هورس وهما يضربان اله الشر المذكور وهناك كذلك صورة الاله هورس وهو محمول على سرير يرفعه ستة من الآلهة والملوك والملكة يقدمان له البخور وهى الملكة كليوباترة احدى ملكات البطالسة ثم رأينا آلهة الشمال وآلهة الجنوب كل منهما يضع تاج جهته على رأس الملك ويبركان عليه ثم ملنا بعد ذلك للاستراحة فى الرحبة الكبرى على سرر هناك معدة لذلك وتناولنا القهوة وبعد أن أخذت الاعضاء حقها من الاستراحة سعدنا على السلم المتقدم المذكور ورأينا منظر البلاد والهيكل من هناك وكنا نرى أسطحة البيوت مغطاة بحطب الذرة الصغيرة (العويجه) وهى بيضاء وكانت ترى البيوت منخفضة جدا

والسلم ليس مستقيماً بل بصفة خط منكسر متجه على يمين الصاعد وبالأجمال هذا الهيكل من آخر الهياكل المصرية وجميع رسومه غاية في الحسن ثم توجهنا الى المدرسة الاميرية بعد زيارتنا الهيكل وهي موضوعة في شمال البلد في محل صحي لطيف وفي الجنوب الغربي من المدرسة محل المركز وهي مدرسة حديثة العهد لم يمس عليها الاستان ولها بابان شرق وغربي وهما متقابلان ورحبتهما مفروشة بالآجر المأخوذ من الانتقاض القديمة ولا تعلوها أدنى وساحة في جميع محالها وتلاميذها على غاية من الذكاء والفطنة وبها نحو ٧٢ تلميذاً منهم سبعة من الاقباط والباقي مسلمون وفيها سنة أولى وثانية وقد شرع الآن في عمل محل لها غير المحل الذي هي فيه اذ ليس به بيوت خلاء ولا كثير من اللوازم التي لا بد منها لكل مدرسة والمحل المذكور بجانبها من جهة الشمال منعزل تقريباً عن البلدة وباب المدرسة غربي وعلى يمين الداخل منه قاعة الاشياء وحيطانها الاربعة مغطاة بالخرط الحيوانية والمعدنية والنباتية والصناعية وغيرها بحيث ان قاعة بهذه الصفة قل أن توجد في مدرسة شهيرة من مدارس العاصمة وفي داخلها طاولة عليها أغلب الاشياء اللازمة لتعليم الاطفال كقطع الورق الصغيرة المكتوب على كل واحدة منها حرف من حروف الهجاء بخط واضح يقرؤه الانسان من بعد عظيم وعلى اليسار قاعة الناظر وبعدها قاعتان في أولاهما السنة الثانية وفي ثانيتهما السنة الاولى وبعدها قاعة الاشياء المخزن ثم قاعة المعلمين ولقد دخلنا قاعتهم فوجدنا فيها الكتب النفيسة من غالب العلوم وبالأخص علم تهذيب الاخلاق والآداب العربية ولقد كانت ملابس التلامذة كلها بيضاء والبياض أحسن شيء يلبس هناك لكثرة الحرارة بتلك الجهة ولقد اختبرهم جناب المستر دانلوب في الانجليزية فسر كثيراً كما سر من همة حضرة محمود افندي حسن الناظر بها ومن حسن ادارته واختبر حضرة الشيخ محمد سلامة التلامذة في فروع التعليم العربي فوجدهم على درجة جيدة ولقد رأينا الاساتذة هناك يبذلون مجهودهم في تذليل صعاب المسائل وتقريب العبارات من أذهان الطلبة ثم عدنا من ادفو في

الساعة الحادية عشرة فتوجهنا الى اسوان وكنا نرى جبل السلسلة ساقطا نحو الماء عموديا لانحدار فيه وفي أغلب مواضعه يرى زاحفا على الشاطئين حتى انه لم يبق بين جهتيه غير النهر ولما في أسنله أثر عجيب لكثرة جريانه بجوانبه ودوام تلاطم الامواج به ويرى به كثير من المغارات فافرة أفواهاها نحو الماء كانها تطالبه بجزاء ما صنع بأصل الجبل ويقال ان أحد الفراعنة كان موصلا جهتيه بسلسلة كيلا تمر مركب من غير أن تدفع خراجا وهذا سبب تسميته جبل السلسلة وقيل سمى بذلك لان الجبال الغربية كادت أن تتصل بالشرقية فكانهما سلسلة واحدة ويقال انه كان متصلا بعضه ببعض فقطعه النيل وبهذا الجبل المحاجر العظيمة التي قطع منها غالب التماثيل الجسمية واتخذ من جنادها أكثر الهياكل في الوجه القبلي وقد كان كثير من مغاراته مقابر ومعابد للقدماء ورست بنا الباخرة ليلة الخميس على بلدة دراو قريبا من اسوان وهي بلدة على الشاطئ الشرقي للنيل على بعد قليل منه وأكثر سكانها من عرب العبايد ولما انقضى الليل توجهنا قاصدين اسوان فعند ملاحات أعلامها جدت الباخرة في السير فرحا يبلوغ الارب الى أن وصلناها فأطلقت بخارها وقيدت مسيرها وألقت مرساها وقالت هذا آخر مضماري ومنتهاه وعندها ركبنا الزوارق واجتازنا الى الشاطئ الغربي وصعدنا الجبل وهو ملاصق للنهر لرؤية الآثار التي اكتشفها السير غرانفيل سردار الجيش المصري سنة ١٣٠٣ هجرية وهي جملة مغارات منحوتة في وسط ارتفاع الجبل يصعد اليها في نحو ربع ساعة أبواب جميعها للشرق من آثار وزراء العائلتين الخامسة والسادسة وعددها احدى وثلاثون مغارة تختلف صغرا وكبرا

وأعظمها قبران أحدهما قبر الوزير (ميكو) وهو في الجنوب وفي داخله ثلاثة صفوف من الاعمدة المربعة الشكل التي هي من أصل الجبل نحتوا ماحولها وأبقوها على هيئة الاعمدة ويرى مثل هذه الاعمدة في كثير من المغارات كما في بني حسن وغيرها ولكن الفضل لصناع هذه المقابر فان الجرانيت الاسواني أشد صلابة من باقي الصخور

(اليوم
الثالث عشر)

(المغارات التي
اكتشفها
السير
غرانفيل)

كما لا يخفى وعددها ثمانية عشر كل صف منها ستة أعمدة ولا يوجد بهذا القبر الاقليل من النقوش وفيه على يمين الداخل رسم صورة ميكو وبه الى الآن كثير من الاواني التي كان بها موميا (أجسام محنطة) ونقلت الى المتحف

الثاني قبر الوزير (سيرمبو) أعظم وزراء العائلة الثانية عشرة وهو في شمال القبر السابق ليس بينهما الا مقابر غير مهمة

وهو بيت على هيئة متوازي مستطيلات وفيه على يمين الداخل ويساره طيقان غير نافذة فيها تماثيل ليست تامة التصوير فلا يظهر الا الوجه وأما باقي الجسم فدمج وفي منتصفه تقريبا رحبتان صغيرتان متقابلتان بكل واحدة عمودان وفي المنتهى تجاه الباب محراب وهو عبارة عن صخرتين متوازيتين فوقهما ثلاثة والوجه الرابع الجبل والخامس مفتوح وفيه رسوم بألوان مختلفة زاهية جدا تحالها قد صنعت في الحال والذي يظهر هو ذلك فانا لم نر شيئا من جميع مشاهدناه من الآثار وتوهمنا أنه صنع حديثا الانقش هذا المحراب وطالما دققنا البحث في غيره وأمعنا النظر مخافة أن يكون من استكشفها أعاد نقشها أو جدد شيئا من طلائها فلم نشك في قدمها ولم تحدثنا النفس بجديتها ولكن طلاء هذا المحراب كنا نحميه فينمعى ويظهر لونه على نحو المندبل اذا حك به الى غير ذلك مما قوى عندنا الظن في أنه صنع حديثا ولو كان كذلك لبئس ما كانوا يصنعون وفي هذا المحراب صورة الوزير وهو جالس على كرسي مظهر للابهة والعظمة وأما الصور التي بالطيقان فهي صور عائلته

ولقد رأينا في عمق بعضها العقود الاسوانية المسماة عندهم باللب ولا يستعملها الآن الا أهل اسوان

ومنها يستتج قدم أغلب العادات وانتقالها بالوراثة حتى ان مثل هذه العقود التي ليست على جانب عظيم من حسن الشكل وبهاء الزينة بقيت على ممر الايام حليا لهؤلاء الاقوام محافظة منهم على رى عرفوا به بين الامم وهذا الامر أى قدم العوائد حقيقى بل والطباع والاخلاق كذلك كما تستلزمه نتيجة التربية ويوجبه الميل الجبلى

بحسب المنشأ فيخرج الفرع مضطرا لاتباع خطة أصله ناسجا على منواله وكيف لا وهو جزؤه (والشيء يرجع في المذاق لاصله)

أجل ان تقدم العهد وسوء انتعهد قد يؤثر على ذلك فربما أفنى بعضه ولكن يبقى البعض الآخر فتمضى عليه القرون العديدة والاعوام المختلفة وهو ثابت لاتزعزعه عواصف التقلبات ولا تعبت به أيدي الخدثان وهذا اذا كان الفرع محافظا على شرف أصله شديد الحزم قوى العزم لا يحسن الامر ولا يقبحه الا بفكرة صحيحة وباعت من نفسه قويم فلا تطوح به طوائف التقليد التي تقلده بربقة العبودية فيمسي أسير تصرفات المقلد رهين اشارته كما درج على ذلك كثير من الشرقيين وهي حالة تسود صفحات الوجوه وتدنس صحائف التاريخ أيحسن بنا أن يقودنا الهوى مثلا الى ترك الرى اللطيف وملبس آبائنا الفسح مع أننا نعلم أنه هو الاجود لصحتنا والافق لحال بلادنا وتنبع الامم الغربية في زيهم الذي اضطروهم اليه حال بلادهم وتطفل عليهم في أمر يضر بصحتنا ونهدم ماشيده أسلافنا من الشرف تلك والله هي الطامة الكبرى والضالة التي لاترد وتالله لو عادينا على ذلك لامسينا نحن وملايسنا بل وغيرها مما لدينا من المميزات أثرا يحفظ بالمخف ضمن الانتيكات التي كلما رآها وسمع بجديت أهلها ولاى شئ تجذبنا عوامل التقليد الأضعف أسلافنا أنفنا من الانتساب اليهم أم لذلهم وصغارهم شغنا بانفنا عن سيرهم أم لتأخرهم في الحضارة وتقهرهم لا والله لقد رأينا من آثارهم ما يهر كل من تفكر ويعجز عن وصفه من فيه تدبر

فوشمس معارفهم وضحاها وقر علومهم اذا تلاها ونهار عقولهم اذا جلاها لقد كنا ندخل المعبد فيأخذنا الاندهاش حتى نقول ان هذه ليست من صنعة الانسان ولا مخلفات قدماء المصريين وأسلافنا الاقدمين وكفى بقائل يقول مالك ولن يتزيا بزى يراه حسنا ملائما لما تشتهيه نفسه ويلذه هواه دع كلا يسير على الناموس الذي يحسنه له فكره وما عليك ان كان يسوءه أو يسره فان من يخرج الى حد يضر بصحته أو يخط من قدره انما انتهك حرمة نفسه وجنى على مصلحة شخصه

على نفسى جنيت فن يعانى * معانيتى فذاك من الفضول
 فاقول اليك يا هذا ومهلا فليست مضار التقليد فى مثل الملابس قاصرة على اضاءة
 الشرف وفقدان الصحة وغير ذلك مما توهمت أنه خاص بالشخص المقلد بل وراء ذلك
 انحجاب بنى الجنس وخراب لثروة الاهالى وانتزاف الاموال الى الخارج اذ كل من زيا
 بالرى الاجنبى استغنى عن ملابس الوطن وتجارها وصناعاتها فتمجنس أثمانها لقلة
 راعيها وتكسد أسواقها لعدم مشتريها وينتهى أمرها بالاضمحلال وتوول الى الزوال
 فيعود ذلك على الامة جميعها بالدمار والافتقار اذ ضعف الافراد وافتقار الاجزاء ضعف
 وافتقار لكل المركب منها فاذا داخلك الريب فسرح نظرك فى أسواق القاهرة وغيرها
 من المدن المصرية ترى الالوف المؤلفة من المصريين مزدجة على أبواب الحوانيت
 الافرنجية ينفون درهمهم ودينارهم المستفادين لهم من الوطن فى شراء الصاكو
 والبطلون ونحوهما مما يعود نفعه على الاجانب

والتاجر المصرى كاسد البضاعة جالس أمام حانوته يزود الذباب عن وجهه وبعض
 أطراف بنائه على سوء بخته عند بنى جنسه ينادى بالويل والثبور
 * أضاعونى وأى فتى أضاعوا *

والخياط الذى يعدّ عضوا نافعا فى شجى الجمعية الوطنية أمسى وقد شلت أنامله من
 البطالة والصباغ والنساج وغيرهم أحوالهم لا تخفى على ذى بصيرة وبالعجب لم قلدنا
 الغربين فى الملابس ولم نقصد بهم فى الاهتمام بالصنائع والتعاون على عقد الشركات
 لرواج التجارات كما كان فى زمن المغفور له محمد على باشا فنكون قد أحسننا صنعا
 وأجدنا عملا وحصلنا نفعا ولا نسمى مقلدين بل نكون قد سرنا على سنن أسلافنا
 القويم وطريقهم المستقيم

ولقد شط القلم عما كا فيه فلنرجع اليه عسى أن يرجع بنو الوطن العزيز لما كان
 أسلافهم عليه

ثم بارحنا هذا القبر وصعدنا الى قمة الجبل فرأينا قبة مبنية قديما بالآجر تسمى
 الآن لشدة ارتفاعها بالقبة الهوائية فيها بابان أحدهما شمالى والاخر جنوبى

يمر منهما الهواء النقي بغاية السرعة والقوة فهي اسم على مسمى ثم نزلنا وركبنا الزوارق وقصدنا جزيرة اسوان فكنا غرق في النهر وهو متفرق الى جداول لما فيه من ربوات الاحجار الصخرية فلما وصلنا الجزيرة سعدناها من سلم المقياس الذي انشئ قديما وكان مجهولا فاستكشفه الفرنسيون أيام احتلالهم الديار المصرية وجدده المرحوم محمود باشا الفلكي زمن الخديوى الاسبق ولكنه أبى التقسيم القديم ورسم فيه تقسيما جديدا جعل فيه الذراع ٥٤.٠ م كما كان في مقياس الروضة وأما القديم فالذراع فيه ٥٣.٠ م والتحاريق فيه على ذراع واحد منه وغاية الزيادة ١٧ ذراعا فالزيادة الحقيقية فيه ١٦ ذراعا ومكتوب على حائطه الغربى هذه الابیات

حق على اسوان تبدى شكرها * للمليك مصر الداورى اسماعيل
أحيا بها المقياس بعد ذهابه * بتجدد التقسيم والتفصيل
من بعد ألق وهو فى غيب الثرى * أبدى معالمه بخير دليل
الماهر الفلكي محمود الذى * جلت معارفه عن التمثيل
أبقى التقاسيم التى وجدت به * وبغيرها حلاه للتعديل
قالت له اسوان فى تاريخها * أوفيت بالمقياس ببحر النيل

وهذه الجزيرة بالقرب من اسوان وبها كثير من الخيل ومزارعها فى غاية الحصوبة ومعنى بشأنها حتى ان أغلب أراضيها عليه أسوار من اللبن وزمامها يبلغ خسين فداناً وكانت مقراً للولاء العائلة السادسة التى كان ابتداءؤها سنة ٩٧٤ قبل الهجرة ومدتها ٢٠٣ سنة

وكانت هذه الجزيرة محصنة بالاسوار وكان بها قوة حربية لرد هجمات النوبة وبها عمال من الجرائيت الاسود لمنفتح (فرعون الغريق) لاي زيد ارتفاعه عن مترين وشواطئ هذه الجزيرة من الجرائيت الاسود والاجر ومنظر النيل للواقف بها فى غاية الابداع والزئيق فيرى لجين الماء يكاد يخطف الابصار لتلاعب الامواج وقد تخللته هضبات الجرائيت الاسود كبساط من الفضة علت عليه كنبان من المسك فيستكون من ذلك

(جزيرة
اسوان)

منظر تلذه العين وبألفه الخاطر ثم بارحناها على الزوارق وقد قاربت الشمس الزوال
وقصدنا الباخرة فاسترحنا بها وتناولنا الغداء ثم ركبنا الجر وبوجهنا للتفرج بأسوان
وهي بلدة عامرة على الشاطئ الشرقى للنيل قرية من الشلال الاول الذى اشتهر بها
ويكتنفها الجبل من الجهتين الجنوبية والشرقية ومن الغرب النهر ومن الشمال
سهل فسيح به كثير من النخيل

وأكثر أبنيتها من الآجر وايس بها الاقليل من الشوارع المنتظمة وأغلب حاراتها
ضيق متعرج وفيها أسواق وخانات ووكائل ومكاتب وتجااراتها رائجة وكانت قبل
قفل السودان أروج منها الآن وبها مساجد جامعة بمزارات مرتفعة وقد أسس
الصحابه رضوان الله تعالى عليهم محرابها فيما أسسوه من المحاريب كحراب جامع
قوص وجامع سيدنا عمرو ومسجد الجيزة والاسكندرية وارتفاع اسوان عن أرض
البحر الاحمر يبلغ مائة مترو عشرة

وهي على درجة ٢٤ وبعض دقائق واشدة حرارتها وقربها من الجبل يوجد بها كثير
من العقارب والافاعي ويسكنها الآن أخلط من العرب والبربر والسودان المتمصرين
ولذلك اختلفت فيها اللغات والالوان وأهلها في غاية الذكاء والفطنة وقد سكنها
قديمًا أقوام من العرب من قحطان ونزر من ربيعة ومضر وخلق كثير من قريش
وقد تقلب عليها كثير من نوب الزمان فخربت وبنيت مرارا عديدة فكانت في زمن
القدماء من ملوك المصريين مدينة عظيمة ثم خربت وتجددت في زمن الرومانيين ثم
خربت وتجددت بعد ذلك ويقال ان الموجودة الآن بنيت من عهد السلطان سليم
الفاتح وكانت في صدر الاسلام في أواخر بلاد المسلمين وكانت النوبة كفارا وكان
لاهل اسوان أراض في بلاد النوبة اشتروها منهم أيام الامويين والعباسيين وكانوا
يدفعون خراجها الى ملك النوبة الا أنه كان يحصل منهم في بعض الاحيان تعد
وتوقف في تأديته فلما جاء الخليفة المأمون شكاه اليه ملك النوبة وادعى أن البائعين
لنلك الارض أرقاء لملك لهم فأحال المأمون النظر في ذلك على قاضى اسوان بحضور

نائب الملك فأثبت صحة البيع لان أهل اسوان حملوا البائعين على عدم الاقرار بالرق
فقد عليهم ملك النوبة حتى بطش بهم وطالما تكرر التعدي من النوبة على اسوان
فكانوا ينتهزون الفرصة ويأتون فينهبون أموالها ويسبون نساءها وأطفالها حين يصل
الخبر الى ملك مصر يرسل اليهم من ينتقم منهم ويطردهم ثم يعودون بعد حين كما وقع
سنة ٣٤٤ وسنة ٣٥١ وسنة ٥٦٨ هـ وفي مدة السلطان صلاح الدين حضر الى
مصر ابن أخى ملك النوبة مستنجيا من ظلم عمه فجهز معه جيشا ودخلوا بلاد النوبة
وانتصروا عليها وأسروا ملكها وكثيرا من أمراءها وجعلوا ابن أخيه المذكور
ملكاً وفرضوا عليه الخراج وألحقوا بمصر نحو ربع بلاد النوبة مما يلى اسوان وعاد
الجند الى مصر بنحو عشرة آلاف من الاسرى وبقي في دنقاه مأمورون لجمع الخراج
ثم كانت الاعراب وأهل وادى الكنوز يغيرون على اسوان وبعد أن ملك مصر
السلطان سليم كان كل من عصى من الامراء يرتحل الى الصعيد بمسايلكه ورجاله
وينضم اليه غيرهم ويقاتل بهم فلم تزل الاقاليم القبلية والبلاد النوبية ميدانا للعروب
والفتن الى أن مهد العمران وبث الامان في أنحاء القطر الهمام الاكبر أفندينا المرحوم
محمد علي باشا فقطع دابر الثائرين وأرباب الفتن ودخلت جميع بلاد النوبة تحت حكم
مصر وأمنت أهل اسوان مما كان يعتريهم من المهلكات وبقرت المدينة الحالية
أطلال المدينة القديمة وعند اسوان محاجر عظيمة يبلغ طولها نحو ستة آلاف متر كان
يأخذ منها قدماء المصريين لعماراتهم الاعمدة والمسلات والاحجار الهائلة وفي بعض
محاجرها مسلة عظيمة كان الاوائل ابتدؤا في قطعها الى أن قاربت التمام ثم تركوها
فبقيت متصلة من جهة واحدة وباقي جهاتها منفصل وفي الشرق من اسوان قبور
كثيرة تزار الآن منسوبة لجماعة من الشهداء والصالحين ونشأ باسوان جماعة من كبار
الرجال وأفاضل العلماء منهم ابراهيم بن محمد الملقب بفخر الدولة وكان شاعرا كاتباً
كتب الانشاء للسلطان صلاح الدين وأخيه العادل توفي سنة ٥٨١ هـ ومنهم الحسن
ابن علي المهذب الشاعر المفسر له تفسير في خمسين مجلداً ويقال انه لم يكن في زمنه

أشعر منه توفي سنة ٥٦١ هـ ومنهم أبورجاء محمد بن أحمد الاسواني الشافعي الفقيه الشاعر نظم قصص الانبياء وكتب المزي والطب والفلسفة في ألف ومائة وثلاثين بيتا وتوفي سنة ٣٣٥ هـ وغيرهم

ويتبع اسوان ثلاث بلاد صغيرة وهي أبو الريش وعزب اسوان وجزيرة إلفنتين فأما الجزيرة فقد سبق الكلام عليها وأما أبو الريش فهي في شمال اسوان متصلة بها مشتملة على جملة نجوع وبجوارها يوجد الطين الطفلي المعروف بالاسواني المستعمل في بناء الواورات

وأما عزب اسوان ففي الغرب تبعد أبي الريش تنتهي من الجنوب الى الجبل المرتفع الذي على قته قبة الهواء وفيه الآثار التي ذكرناها وليس بأسوان وماحولها الاقليل من الاراضي الزراعية فلذلك ترى أهلها مابين تاجر وصانع وملاح ومما يدل على كثرة الملاحين بها أننا نركب الزورق الصغير فيكون به من الملاحين نحو الخمسة عشر وكنا نخاف الفرق لما كان يحصل منهم من المشاجرات عند تسابقهم بالسفن ويصنع بها من طينة تؤخذ من شمال البلدة أنواع من الفخار لطيفة الصنعة نجرا وسوداء كالخلل والصمون المغطاة وبجارة الدخان وغيرها

ومن مصنوعات الاعراب المجاورة لها القدور تؤخذ من حجر يعرف بحجر البرام بواسطة النقر وتستعمل لطبخ الطعام وهي في ذلك أجود من النحاس وقد يستعملون في صنعته طريقة غير النقر فيسحقون ذلك الحجر ويضيفون اليه مقدارا من الطين الذي يستخرجونه من جبل اسوان ويعجن ونحو أربع ساعات ثم يصنعون منه القدور ويجففونها في الشمس والهواء نحو ٤٨ ساعة ثم يحرقونها في نار قليلة الحرارة حتى تصبح فخارا

ولما انتهج الحاطر وامتلاء الناظر من مناظر اسوان رجعنا منها وقد غربت الشمس الى الباخرة وقضينا الليل بها يذكر كل منا ما شاهده لاختيه الى أن بزغت غزالة يوم الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ فركبنا الحرقليلا الى أن وصلنا محطة الواور البري الذي أعد لجل المسافرين من شمال الشلال الى جنوبه وهذه

(اليوم الرابع عشر)

المحطة مخصصة للسياحين ولذا وضعوها في شمال البلدة قريبا من مرسى السفن وأما المحطة العامة فهي في جنوبها فركبنا منها وابورا أعد لنا وسارنا نصف ساعة بين جبال مرتفعة وسهول فسيحة بها بعض أعراب يعيشون تحت المضارب وانتهى بنا الى محطة على الشاطئ الايمن تجاه جزيرة فيله وعندها كثير من الواورات الحربية تحفظ الحدود

نزلنا بعضها لرؤيته فرأينا فيه ثلاث طبقات السفلى منها محاطة بطبقة من الصلب وفيها قصات لرمي الرصاص والوسطى فيها مدفع لقذف كرات النار يدور كينما شاء مديره والعليا فيها أربعة مدافع ترمى من جميع الجهات وفي المقدم مدفع كبير يبلغ مدى رمية أربعة آلاف متر وهو محاط أيضا بحصن من الصلب يقى من يدى الآلة وهناك معمل لتصليح هذه السفن على الشاطئ الشرقى عند محطة الواور وهو يشمل خمس آلات موضوعة على صفيين منها ماهو اقصى الحديد ويسمى مقصا ومنها ماهو لثقبه ويسمى مثقابا ومنها ماهو لسمحه كقارة النجار ويسمى بالقارة ومنها ماهو لطرقه ويسمى مطرقا ويدير الجميع آلة بخارية وامام المعمل عمال يتمون ما لم تصنعه الآلات فيثبتون نحو المسامير والصفائح في خشب الواورات

ثم ركبنا الزوارق وسارت بنا قليلا حتى خرجنا منها على جزيرة فيله التي كنا نراها أمامنا ونرى بها المباني الجسيمة وهي جزيرة في جنوب الشلال على بعد عشر دقائق منه وعلى نحو ستة أميال من اسوان كلها صخور سوداء وجراء وتسمى أيضا جزيرة البرى لما بها من البرابى القديمة المعروفة بقصر أنس الوجود وأما الاسم الاول أى فيله فن وضع اليونان

وبعد ان خرجنا على الجزيرة مررنا أولا بآثار كنيسة بنىها الاقباط في أول أمرهم ورأينا محرابها وهو جراسوانى أبعاده الثلاثة ٣ م ١ و ١ م ١ و ١ م وفي وسطه فتحة غير نافذة على هيئة متوازي مستطيلات ثم دخلنا المعبد القديم المعروف الآن بقصر أنس الوجود والذي ابتدأ في بنائه بطليموس فيلادلف وتممه من أتي بعده من

(قصر أنس
الوجود)

البطالسة والرومانين وجدران هذا المعبد الخارجة مؤسسة على نهاية الجزيرة وذلك لانهم بنوا أولا على أطراف الجزيرة حيطانا عمودية شبيهة بالسور لمنع التسلق عليها والصعود اليها من غير بابها لانه كان لايسكنها الا الكهنة وأرباب الديانة لذلك سارت بنا الزوارق كثيرا حتى وصلنا الى المحل المعد للصعود مع أن الجزيرة قريبة جدا من الشاطئ

وهذا القصر متسع به رجة عظيمة بها عدة أعمدة صغيرة كانت دائرة بجميع هذه الرجة يظهر أنها كانت حاملة لسقوف قليلة الغرض في جميع حوائط الرجة ووجدنا بها أحد السياحين الامريكانيين وبعه زوجته وهو مشغول برسم ذلك القصر ويقال انه يأتى الى هذه الجزيرة من خمس سنين مضت ليتم رسم المعبد

ثم دخلنا من باب عظيم جدا يشبه باب هيكل ادفويياغ ارتفاع برجيه خمسة وستين قدما فوجدنا داخله رجة بها عدة أعمدة عليها كثير من النقوش ووجدنا أيضا بهذه الرجة نسخة من الحجر الرشيدي الذي توصل بما كان مكتوبا عليه الى حل رموز الكتابة الهيروغليفية ولكن هذه النسخة ليست عليها الكتابة اليونانية وفيها أيضا نقوش على حجر عظيم في الحائط المقابل للباب هي عبارة عن صورة الحجة التي كتبها الملك للكهنة بان هذا المحل صار موقوفا على الآلهة

وفي الحائط الشرقي رموز تدل على كيفية تركيب الجذور وبعد ذلك دخلنا عدة غرف مزدانة بغريب النقش وجمل التصوير وهي مظلمة لقله وضيق النوافذ الموصلة للضوء ومن أهمها غرفة كانت معدة لوضع الكتب المقدسة

ثم صعدنا فوق السطح فرأينا غرفة صغيرة من أهم ما بها من الرسوم صورة رأس الخروف الدالة على معبودهم المدعو (كنوم) ثم صعدنا على سلم صغير حتى ان بعضنا كان لا يستطيع الصعود عليه الا واحد المتدربين آخذ بيده فكان منظر الجزائر من هنالك يسر الخاطر وعند مازار استرايون المؤرخ الشهير هذه الجزيرة رأى الصقر المقدس الذي كان معبودا عندهم ولكنه كان في غاية الضعف

ثم ملنا الى محل يسمى عرش فرعون وهو عبارة عن سقف مقام على عدة أعمدة من أربع جهاته بين هذه العمد بناء لغاية نصف ارتفاعها وقد كسر الحجر المسقوف به الباب فربطت قطعته ببعضهما بواسطة قضبان من حديد فتناولنا به الغداء

وبعد ما زالت الشمس ركبنا الزوارق وقصدنا الشلال فكنا نرى أبحار الجرائنيت كأنها البلاور ملاسة ولمعانا وهي تعلو في مكان وتنخفض في آخر ولم نلبث غير القليل حتى وصلنا الشلال وكنا نسمع صيت هذا الاسم فنكبر مسماة ونود لو أننا نراه فحين عاينا جداوله وشاهدنا منافذه أخذنا نتعجب كيف أن هذه المجارى على صغرها وقلتها تمر منها هذه المياه الجمة ذات الامواج الهائلة بحيث انا لو قارنا بين اتساع النهر تجاه قصر النيل مثلا وبين هذه المنافذ لما وجدناها تبلغ معشارا منه ولكن الذي سهل نفاذ هذه المياه على كثرتها سرعة تدفقها العجيبة وعندما صعدنا من الزوارق رأينا أقواما من البرابرة ما بين طفل وشاب وهرم متهيئين للسباحة وسط هذه الامواج فحين وصلناهم ألقوا بأنفسهم في الماء فحينا يعمومون وطورا يغطسون وبعضهم كان يسبح بواسطة خشبة جافة الى غير ذلك من الامور التي يخاطرون بها على أنفسهم قصد الحصول على قرش واحد أو أقل وهذا شأن المحتاج الذي لا يجد ما يسد به ريقه وبالجملة فنظر هذا الشلال في غاية الحسن وذلك ان المياه تجيء اليه مؤتلفة مع بعضها آخذة سطحا واحدا فعند ما تصادمها جنادله المرتفعة كثيرا في مكان وقليل في آخر تحدث عندها النفور من بعضها وتفرق بعد اتلافها فتندفق من تلك المجارى ويسمع لها قصيف من مسافات بعيدة

ثم ركبنا الزوارق وثينا عنانها نحو محطة الواور البرى فركبنا ورجعنا الى اسوان فوصلناها بعد المغرب وتوجهنا الى الباخرة فقصينا بها ليلتنا

وفي صبيحة يوم السبت السابع والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ توجهنا لزيارة مدرسة اسوان الاميرية ولم يمض نحو ربع ساعة حتى وصلناها وهي واقعة في

(اليوم
الخامس عشر)

مكان صهي ورحبها مفروشة بالحصى الدقيق تحتوى على أربعة محال للتلامذة وعلى محل الناظر ومحال أخرى لباقي الاوانم وقد أخذ المستر دنلوب يفتش أحوالها والمسترفانديك يختبر التلامذة في اللغة الانكليزية وحضرة الرياضى احمد افندى جدى يختبرهم في الرياضيات التى تدرس هناك وحضرة الاستاذ الشيخ محمد سلامة والشيخ محمد المهدي يختبران في اللغة العربية وفروعها ولقد شاهدنا من نشاط التلامذة وذكائهم وسرعة اجابتهم ما جعلنا نننى على ناظرها ومعلميها ودرجتها لاتنقص عن درجة أعظم مدرسة بالوجه القبلى ومن الغريب ذكاء التلامذة الى درجة ما كنا نظن وجودها في تلك البلاد ولم نزل فيها حتى جاء وقت الظهيرة فيمنا السفينة وتناولنا الغداء وأدينا صلاة الظهر ثم توجه رئيس الارسالية الى المدرسة مرة ثانية ولم نزل هناك الى آخر النهار وكان في نية عمال السفينة الشروع في العود في ذلك اليوم ولكن تأخر الرئيس اضطرهم الى المبيت وفي علمنا أن حضرة المفنش لم يسر بمدرسة أكثر من سروره من تلك المدرسة واللغة العربية هناك متقدمة لدرجة تسر كل مصرى ولقد دعا المستر دنلوب حضرة ناظرها محمد افندى جودت وبعض أساتذتها لتناول العشاء في السفينة وقد شاهدنا هناك كثيرين من عرب البشارية وهم سود الالوان نحفاء الاجسام واسمعوا العيون لايعرفون أحوال الزراعة وهمهم اقتناء الابل والسعى بها للحصول على المعيشة بنحو نقل البضائع عليها ومما يؤسف عليه أن الدراويش في هذه الايام الاخيرة أهانوهم ونهبوهم حتى تفرقوا في البلاد بالوجه القبلى فمنهم كثيرون بالاقصر وما جاورها وبأسوان وغيرها يسألون الناس الخافا وقل أن يقوم السؤال بحاجة انسان ولقد قرعهم المدقع كما نشاهد الواحد منهم مكشوف الرأس ليس عليه من اللباس الا سراويل وشملة وكان منهم من يأتون عند السفينة ويلعبون بالسيف والدقة لاخذ ما يستعينون به على معيشتهم ولهم رطانة خاصة بهم تغاير رطانة البرابرة ولو وجهت الحكومة عنايتها لهؤلاء المساكين الذين لا كسب لهم الآن لقد ذلك من ضمن ما أثرها الجيلة

وعند الساعة السادسة من صبيحة يوم الأحد الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ أفلعت الباخرة راجعة بالسلامة من اسوان وكانت الريح شديدة اذذاك وبعد قليل مررنا على بلدة تسمى العضية بها نخيل كثير يظنه الراى من بعد غابا وهو لتقاربه مظلم جدا ولم نزل سائرين حتى جاءت الساعة الثامنة فوصلنا هيكل (كونبو) وخرجنا لزيارته وهو واقع على الضفة الشرقية في محل مرتفع قليلا عن سطح (هيكل كونبو) الارض وهو متخرب وكان امام برى انهارت في النهر مع طول الزمن وعمل المياه فيها بحيث ان الانسان اذا أمعن النظر عند سكون الماء وصفائه يشاهد الحجارة العظيمة في جوف النهر وقد بنى هذا الهيكل الموجود الآن في عهد بطليموس الثامن وله بابان أحدهما يوصل لاله النور والثاني لاله الظلام ويرمز اليه برأس التمساح وحينما يدخل الانسان من الباب الاول يجد صورة ايسس على يمينه ورأس التمساح على يساره ويمجد الحيطان مطرزة بالنقوش الظاهرة ورؤس أعمدتها على شكل زهر البشنين والبعض ليس كذلك وبعض الهيكل سقفه باق والبعض الآخر سقط وحجارته ملقاة فيه والحجر الواحد من حجارة السقف على شكل متوازي مستطيلات طوله نحو سبع خطوات وعرضه خطوة وسمكه ثلثا خطوة وعلى يسار الداخل من الباب الثانى صورة الشيطان ولا نجب الا من جعل الصورة دالة على المصور بحيث ان الانسان لا يتصور الشيطان على فرض أن يراه الا بمثل تلك الصورة القبيحة

وعلى الحائط المقابل للداخل من البلب المذكور صورة بطليموس باني الهيكل وعلى يده علامة الحق يقدمها للاله وذلك الاله جالس على كرسي لطيف جدا وايس لهذا الهيكل أهمية كبرى عند السياحين لتخرجه وقرب مدته باضافته الى غيره من المباني القديمة وأمام الهيكل من أعلى شرافات شاهدناها ونحن في السفينة وعليها ألوان زاهية جدا وهو وان كان الآن قليل الاهمية الا أنه يستدل من نقوشه وشرافاته أنه كان عظيما مهما ولا بد أن يأتى زمن ليس يبعد تأكل المياه فيه جميع الهيكل لانها متسلطة عليه تمام التسلط وقد استغرقت مشاهدته نحو عشر دقائق ثم سارت

(اسنا) الباخرة حتى رست تجاه ادفو وعند ذلك خرج المفتش وتوجه الى مدرستها لتقيم بعض المصالح ثم جاء ولم يخرج منا أحد وأفلعت السفينة ولم تزل سائرة حتى دنت الشمس من الحجاب فوصلنا بلدة اسنا وهى واقعة فى الجهة الغربية للنيل بين اسوان وطيبة والوادى من هنالك يباغ نحو ٨٠٠ م نخرجنا نجوس خلالها واذا ببعضها مبنى بالآجر والبعض الآخر باللبن وقد زحف عليها الماء وخرب فيها بعض الابنية وشكلها يضاوى وهى واقعة على تل مرتفع كعادة المدن المصرية القديمة ويبلغ طولها من الشمال الى الجنوب ٩٠٠ م وعرضها نحو ٤٠٠ م وفى وسطها ميدان عظيم مستطيل الشكل يبلغ نحو ٣٤٠٠ م وفيه كثير من الباعة وبها سوق دائمة كعادة المدن الكبيرة ولها سوق فى كل أسبوع يوم الاحد تفد اليه العرب والاهالى وتباع فيه السلع الشرقية وتكثر فيها الحرف والبضائع كنسيج الملائات وأنواع اللبوسات من القطن والصوف وبها معاصر لزيت الخس ويجلب اليها من جميع بضاعات القطر المصرى من القاهرة وغيرها لاسيما مصنوعات الوجه القبلى كالبرد والاردية ويسمونهم الشقق وهى تستعمل للنساء بشكل وللرجال باخر وأهاليها أشد تمسكا بالدين من غيرهم وقد رأينا أنه كلما تقدم الانسان جهة الجنوب يجد التمسك بالدين آخذا فى الزيادة بنسبة تقدمه فى البلاد الجنوبية وفى الغالب أهل البنادر يغلب عليهم رقة الدين وفوق غالب بيوتها أبراج الحمام وكلها مبيضة بالجير خوفا من الهوام ولذلك كان ثمن الحمام فيها قليلا بالنسبة الى غيرها وتلك المدينة است حديثة العهد وانما هى مدينة قديمة كانت احدى مدن الفراعنة الشهيرة وكانت رأس مديرية كما كانت حديثا كذلك واسمها القديم سنا وتسميها الرومان لنيوبوليس واسمها الحالى اسنا بكسر الهمزة وتفتح كما فى القاموس

وفى كلام الادريسي أنه كان بها ١٢٠٠٠ بيت وسبعون حارة كبيرة وأرض هذه البلدة وكذلك جميع أراضى مديرتها مرتفعة بحيث يخشى عليها عدم الرى عند انخفاض النيل قليلا وكانت أيام دخول الفرنسيين لاتصلها المياه فى غالب السنين

وكان لا يزرع من أراضيها الا جزء قليل وهو ما انخفض من أرض الشاطئ في شمالها ولما لاحظتها عناية العائلة المحمدية كما لاحظت غيرها من القطر زرعت أراضيها وصارت ذات خصوبة جيدة وفي مدة المغفور له سعيد باشا أصلحت اصلاحا عظيما ولما دخل جزء منها في أملاك الخديوي الاسبق اسماعيل باشا وجه عنايته اليها ورب هناك وابورا لسقي الاراضي التي تحت حوزته وكان يزرع القطن بنواحيها فتأخذ النساء ويغزلنه وينسجنه ثيابا تباع للعرب وللأهالي وكان يشتغل بهذه الحرفة كثير من المدن ولم تزل للآن ولكنها أقل منها قبل وبها جوامع كبيرة أشهرها الجامع العمري وجامع الشيخ الصفوى وله مقام هناك يزار وله مولد سنوى يعمر ثمانية أيام كعادة الموالد وقد ولد بها العلامة أبو عمر وعثمان بن الحاجب المالكي تلقى العلم بالقاهرة ثم درس في دمشق وكان بارعا في العربية وله الكافية والشافعية في النحو والصرف وبعد أن عاد الى القاهرة لازم حلقة كثيرين ثم انتقل الى الاسكندرية للاقامة بها ولم تطل اقامته حتى مات بها ضحوة يوم الخميس ٢٦ شوال سنة ١٢٤٦ هـ ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ صالح بن أبي إياق وكان ميلاده في أواخر سنة ٥٧٠ هـ أسنأ وولد بهذه المدينة أفاضل كثيرون لهم شهرة عظيمة ولولا خشية الاطالة لاتينا على ذكرهم ولما انتهت مشاهدنا البلد عمدنا الى السفينة وقضينا ليلتنا بها

ولما أصبح صباح يوم الاثنين التاسع والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ قصدنا برى (اليوم السابع عشر) (برى أسنأ) أسنأ فسرنا في خلال البلدة حتى وصلناها فاذا سقفها في استواء سطح الارض فدخلنا من الفتحمة المتوسطة وهي تساوى قدر فتحتين من الفتحات التي بين الاعمدة الحاملة للإيوان وكل فتحة مما بين الاعمدة تبلغ ١٧٥ م فنزلنا من تلك الفتحمة واذا بإيوان مرتفع يحمل سقفه ٢٤ عمودا محيط الواحد منها نحو ٥ م وارتفاعه ١١٣ م وهي مصطفة أربعة صفوف وبين كل عمودين في السقف متوازي مستطيلات يربطهما وعمق الإيوان نحو ١٦ م وعرضه نحو ٢٣ م والنور يأتيه من

الفحات التي بين أعمدة الوجهة وجميع حيطانه منقوشة من الداخل بالنقوش
الفلكية وهي عبارة عن البروج بترتيبها المعروف وقد مسح بعض الزائرين مسطح
ما هو موجود من حيطانه فوجده يبلغ ٥٠٠٠ م

وقد أزيلت عنه الاتربة أيام المغفور له محمد علي باشا ووجدت نقوشه سالمة وقرأها
العالون باللغة البربانية فعلموا أنه بنى في أيام القياصرة وهناك أسماء جماعة منهم
وبعضهم يعزوه للبطالسة ويقال انه خصص للالهين (كنوم وهورس) ولم يستكشف
منه الا الرحبة الاولى المتقدمة وسقفه بديع النقش جدا لكنه مصاب بالعثان
(الهباب) وبيوت الاهالى بعضها فوق سطحه ويبلغ طول الحجر من حجارة السقف
٨ أمتار وعرضه نحو مترين وعلى كل حال هو من أنفس الهياكل المصرية وقريب
الشبه بهيكل دندره

(مدرسة
اسنا)
ثم قصد كثير منا مدرستها وبعد قليل وصلناها فوجدناها في قصر واقع في الشمال
الشرقي في وسط حديقة لطيفة ومحال الدروس منتظمة وقد اخترنا تلامذتها في فروع
اللغة العربية واختبرهم المسمىوفانديك في الانكليزية وحضرة احمد افندي جدي
في الرياضة وحضرة احمد افندي نجيب في الجغرافيا والتاريخ وكانت درجاتهم حسنة
كل هذه المدارس التي رأيناها في سفرنا هذا وأبنائها بجزء من
كل وقيل من كثير من المدارس التي أنشأها في القطر السعيد والوطن العزيز الرجل
الغيور على بلاده الشغوف بتقدم أمته حتى تضاهي غيرها من الامم رجل المعارف
شيخ المدارس أبو العلوم مؤسس دارها ومشيد بانيها عطوفتوا على مبارك باشا فقد
شهدت له أعماله والاعمال خير شاهد بأنه الساعي في ارتقاء المعارف وتربية الرجال
للبلاد لعله أن سعادة الامة ورفاهيتها انما تشيد على أساس متين هو حسن التربية
وتقدم العلوم فالامة تبقى رافلة في ثوب السعادة متوشحة بوشاح الرفاهية متقلدة
سيف القوة والمنعة طامعة في الارتقاء والتقدم آمنة من التقهقر مادامت متعلقة
بتربية أبنائها وتنوير بصائرهم حتى يمكنهم القيام بنفع بلادهم من اى باب ولجوه

أو سبيل سلكوه فالتربى ينفع أمته في أى صنعة وجد أو عمل نوله فإن كان صانعا
جد في اتقان صنعته وترقيتها فيكون خير عامل على سعادة البلاد وأهلها وإن كان
متوليا الوظيفة كد وكدح وجد واجتهد حتى يقوم بما نيظ به من العمل أتم قيام
وبيقنه أحسن اتقان فيكون قد عمل لوطنه ما يحمد عليه أبناءه وإن كان زارعا
أو تاجرا كان نفعه أقوى وأعظم ومن هنا يجب على الأمة تهيم التعليم الابتدائي
في جميع أفرادها لانتخض به طبقة من الناس دون غيرها أوهل نعبان بان يكون
الزارع منا في وسط مزروعاته يعلم القراءة والكتابة ويعلم من الحساب ما يقضى به
حاجاته أو تضطره اليه أحوال معيشته

ولم نزل بالمدرسة حتى جاءت الساعة ١١,٥٠ فقصدا الباخرة وتناولنا الغداء وأدينا صلاة
الظهر جماعة يؤمنا حضرة الاستاذ الشيخ محمد سلامه وكان ذلك اليوم آخر يوم من
شعبان سنة ١٣٠٩ هـ فسارت السفينة ونحن نتحدث في شأن ذلك حتى وصلنا
بلدة الاقصر وقد هرم النهار فرست هنالك الباخرة فاستقبلنا شهر رمضان بالترحاب
وقد فرض الله سبحانه وتعالى علينا صيامه وجعله ركنا من أركان الدين فاردنا أن
نتنظم فيه أوقات الغداء على ما يقتضيه القيام به خصوصا وأن من كان معنا على
غير دين الاسلام قليل جدا ولكن حالت بين ذلك موانع حتى زعم بعض من ربي
تربية أوروبية فصار لا يعرف من الدين غير اسمه أن الصيام في هذه الحالة غير حسن
ولكن تم لنا دون كل عائق القيام بتلك الفريضة الدينية والشعار الاسلامي وإن كانت
الراحة أقل درجة مما كنا نراه في باقي مدة السياحة ومن استمسك بدين الله فقد
استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها وباليات من ينسب نفسه الى دين هو غير عالم به
ولا مقلد لعلمائه أن يكون خارجا عنه وحق على الدين وأهله التبرؤ منه

ولما كانت السفينة راسية على الاقصر كما قدمنا وكان الحاج محمد عليوه الذي هو
أول ترجان بلناب المستر كوله قد دعانا قبل الوصول اليها لتناول السجور في منزله
لبينا دعوته وحققنا له ذلك فوجدنا منه رجلا ذا مروءة وأدب لا تله الانفس من

حسن أخلاقه بل هو غذاء لها وغذاء للأجسام وانقضى هذا الوقت ونحن في غاية الانشراح من خلاله المقبولة حتى كان وقته غرة أيام السباحة ارتياحا من همته ولما مال الليل للانصراف وكادت الغزالة أن ترى نرجس الظلام رحلت بنا السفينة عن تلك المدينة وهي اضطرب اضطراب الولهان وزفيرها قد ملاء الجو دخانا حتى تجلت لنا مدينة فنا الى أن حاذيناها وسكنت الباخرة وألقت مراسعا خرجنا أفواجا لنطلع على خباياها وذلك يوم الثلاثاء غرة رمضان المعظم المكرم سنة ١٣٠٩ ولبعدها عن نهر النيل ركبنا الجبر وبعد زمن دخلناها وصرنا نجوب طرقاتها ونقصد أسواقها وبجملعاتها ونطلع أخبارها ونستمطر بحائب أحوالها فإذا هي مدينة عظيمة في العمران قد تحلت بجانب من الحضارة والتقدم والتمدن واقعة على شاطئ النيل على بعد ٦٠٠ قصبة منه وكانت تسميها الرومانيون نيا بوليس وهي مقر مديرية تنسب اليها وبها دواوين للمديرية (والمحكمة الاهلية) ومستشفى للرضى ومحل للتجارة يباع به بضائع مصر وبها جملعة مخازن للتجارة وبها فنادق لنزول الاغراب حازت طرفا من الانتظام وبها عدة معاصر لاستخراج الزيت من القرطم والسلمج وغيرها مما يجعل بها من الثروة ما يزيد بها تقدما وحضارة وبها أسواق يباع في كل منها أصناف مخصوصة وبها سوق للبضاعة أما منازلها فبالآجر واللبن وبها قصور مشيدة البنيان مزخرفة الألوان شوارعها آخذة في الانتظام ومن المآثر المحفوظة عن أهلها صون النساء في المنازل فلا تظهر احداهن في الأزقة والأسواق ويألهما من صفة محمودة العواقب مرفوعة المراتب ينبغي النظر اليها بعين الاستحسان فان اختلاط النساء بالرجال مفسدة وأي مفسدة يكثر بسببها العثم وتغظم الملاحى وتسترسل المعاصى وقد مضى على هذه المدينة زمن وهي محط رجال الحجاج وسيل لهم يرون منه الى القصير وفي عودهم يطمثون اليها لقضاء أوطارهم فيجدون بها جيع ما يحتاجونه لانفسهم وما يستصحبونه لمنازلهم فكانت البضائع تزوج في تلك الايام وتحصل حركة عظيمة للأسواق والآن أكثر الحجاج يسافرون من السويس ومع ذلك لم تنقص خيراتها ولا ثروتها الا قليلا

(اليوم الثامن
عشر)

وفيها قطعة أرض تقرب من فدان تؤخذ منها الطينة الطفلية التي تصنع منها أواني الفخار المشهورة مثل القلل والاباريق والخوابي وغير ذلك ولهذه الأواني شهرة بما لها من خاصية تبريد الماء مع خفتها ولطافتها وهذه القطعة مع كثرة الأخذ منها لا تنفذ ولا تنقص فإن الجبل يهيل عليها بعضا من رماله الطفلية والنيل يعمها كل سنة ثم ينزل عنها وقد أخذت منه بعضا من طميه فتستوى أرضها وتعود كانه لم يلامسها أحد وهناك كثير من المعامل ولنشرح كيفية عمل الأواني فنقول يلزم لذلك ابتداء تنقية الطينة من المواد الغريبة مثل الاجار وغيرها ثم تعجن وتهيأ لان تكون في استعداد لما يرد عليها ثم يأخذ العامل قطعة تناسب قدر الآنية التي يريد أن يصنعها ويعطى لها الشكل المطلوب والآلة التي تساعد على هذا العمل تتكون من عمود رأسى في قته العليا قرص من الخشب وفي أسفله قرص آخر أعظم من الاول فاذا أراد الصانع عمل قلة مثلا يضع النقطعة فوق القرص الاعلى ويدير القرص الاسفل برجله ثم يضع ابهاميه في القطعة وباقي أصابعه محيطه بها والعمود دائر فيحصل بهذا السبب تجويف فاذا بلغ الحد المطلوب ضم أعلى التجويف حتى يصير على قدر فتحة الرقبة ثم يصنع الرقبة وحدها ويلصق الجزئين فتخرج قلة الا أنها تكون جسيمة السمك فاذا أراد ترقيق سمكها فعل ذلك بمقسط معد له

أما كيفية عمل الازيار فأولا يصنع أسفله على العمود الرأسى كالقلل ثم بعد ذلك يجفف ويصنع فوق الجزء العلوى شيا فشيا ومتى تم يحرق في أفران معدة لذلك موضوعة بكيفية مخصوصة بحيث لا يخرج الدخان على الأواني حتى تخرج نظيفة وبعد هذه الاعمال يعرض للبيع وتكون حينئذ ذات مسام تسمح بنفوذ الماء منها وهي الوسطة في تبريد المياه

وبها عدة أضرحة أشهرها ضريح العارف بالله السيد عبد الرحيم القناوى ابن احمد ابن حجون بن محمد بن حمزة بن جعفر الصادق النعمى المولد السبتي وزعة من أعمال سبتة وقال الحافظ بن الرشيد المنذر انه عمارى من المغرب وأقام بمكة سبع سنين

على ما قاله بعض المؤرخين ثم قدم قنا وأقام بها وتزوج وولد له أولاد وكانت أقامته بالصعيد رحمة لاهله فانه قد أفاض عليهم من سجال معارفه ما استولت به نفوسهم الكاملة على بقية النفوس الشهوانية وأشرقت أنوار قلوبهم لما دخلوا خلوته فاتفق أهل زمانه على أنه القطب المشار اليه والمعول في الطريق عليه وكراماته شهيرة يعرفها من اذاع على مناقبه رحمه الله رحمة واسعة وله تصانيف في التوحيد ورسائل في التصوف ويعمل له مولد كل سنة يرسم من أول شعبان الى نصفه وأهل قنا يجمعون على اجابة الدعاء عنده بشروط معلومة عندهم توفي في شهر صفر سنة ٥٩٢ هـ يوم الجمعة بعد صلاة العصر تاسع الشهر المذكور

وفيها أيضا الفاضل عبد الجواد بن شعيب الانصارى الشافعى

قال بعض المؤرخين أصله من مدينة قنا ونشأ بغيرها وأتى مصر وصار من علمائها وأدبائها وكان صوفى المشرب اذا حدث أعجب وأبدع وأغرب وكان كثير الحفظ للاشعار ونوادير الاخبار أخذ عنه النور الزيادى ومن فى طبقة له مؤلفات كثيرة منها رسالة بديعة فى الاستعارات سماها القهوة المدارة فى تقسيم الاستعارة ونظم الورقات والنسيم العاطر فى تقسيم الخاطر والقصة الوفية فى بقطة الصوفية وكشف الريب عن ماء الغيب ومن غزلياته قوله

ما مصطفى قلبى الا مصطفى * هو حسبي من حبيب وكفى

أسعد الله تعالى طالعا * حل فيه وأراه الشرفا

ما عليه لوسقانى ريقه * انه الشهد وفى الشهد شفا

ان وفى الدهر به فى ليلة * فهو عندى دائما أهل الوفا

قدم مكة حاجا وجاور بها سنة ١٠٦٣ هـ وأخذ عنه بها كثير من فضلائها ورجع الى بلده واستمر بها الى أن توفي سنة ١٠٨٣ هـ

وفى عصر يوم الاربعاء الثانى من رمضان سنة ١٣٠٩ هـ بارحنا قنا قاصدين دشنا فلما وصلناها وقد خيم الغلس على الجوّ ألفت الباخرة عصا التسيار للبيت على شاطئها

(اليوم
التاسع عشر)

نخرجنا للرياضة بالمشى عليه وبعد هنيهة عدنا الى السفينة ودشنا مدينة قديمة
بدليل ما أظهره النيل حين مال عليها من الصخور المرسوم عليها نقوش بالهروغليفى
دالة على قدمها وهى واقعة على ضفة النيل الشرقية تبعد عن قنا بنحو أربع ساعات
ذات أبنية جيدة ومخازن للبضاعة وسوق دائمة تباع فيها ثياب القطن ونحوها وبها
معمل دجاج ومعاصر سكر ومصابغ وأنوال تحال فى ثياب الصوف وملاآت القطن
وحوانيت للبضاعة وبها عدة قهاوى افرنجية ومنازلها الواقعة على ضفة النيل
مرتفعة على اكمة صغيرة وأغلبها باللبن وبها عدة مساجد معمورة بالعبادة ويدرس
فى أكثرها علوم الشريعة والعربية من نحو وصرف وبلاغة ومنطق منها الجامع
العمرى يقال انه من زمن الفتح الاسلامى وهو معمور بالتدريس فيدرس فيه التفسير
والحديث والنحو والصرف وغيرها ولاهل البلد وما حازاها من البلدان عادات
فى الافراح تنبؤ عن حد التقدم والاعتماد بل هى من أخلاق النوحش والهمجية
وهى أنهم فى ليلة الزواج أو الختان يأتون بصاحب الفرح فى فناء وينزعون عنه
ثيابه والرجال والنساء يحيطون به ثم يغسلون جسمه فى قصعة أو طشت من نحاس
أو فخار وينادى عليه رجل معد للناداة (الصنمى يا محبين) والنساء يغنين فىأتى محبوه
ويضعون فى اناء من نحاس مثلا دراهم كل منهم على قدره ويسمون ذلك نقطة
تكتب فى دفتر عند صاحب الفرح ليردها فى أفراحهم ثم يلبسونه ثيابا جديدة
ويجلسونه على فراش ويسهونه الامير ويمدون الى الزوجة فىحملونها على فرس
ويرفونها من بيت أبيا أو غيره ليلا وبئست هذه العادة القبيحة التى لم يعرضوها
على محك النقد ولم يزنها بميزان الشرع حتى يتبين لهم أن كشف عورته بين الرجال
والنساء أمر قبيح نهى عنه من بين لنا المحاسن من الرذائل ويعلمون أن هذه
الأخلاق من سمات الهمجية الذين لافرق بينهم وبين الحيوانات العجم

وبالعجب كيف أخذوا بهذه العادات وبين يديهم قانون يكفل لهم البحث عما ينبغى
أن يتخلقوا به

ومن عادات بعضهم عند افتتاح الفرح أن يخرج أقرب امرأة الى صاحبه كأمه أو أخته مثلا ولو مخدرة فتفتح الرقص أمام الحاضرين الاجانب وبعد برهة تنصرف ويرون ذلك أمرا لا بد منه ثم تتلوها الغوازي أى الراقصات فاين الحجة الدينية وأين الشهامة العربية ان هذا هو الضلال المبين

وقد نشأ بها عدة من الافاضل منهم زكريا بن يلى بن هارون بن يوسف بن عبدالحق الدشناوى مولدا التونسى محمدا وكان لائقه بدرا وللاذد خدرا شاعرا مجيدا ومن شعره فى شاب اسمه حطاني

فقال لى العذول علام تبكى * فقلت له بكيت على حطاني

ومن كلامه أيضا

لاتسلنى عن السلو وسل ما * صنعت بى لطفا محاسن سلمى

أوقعت بين مقلتى ورقادى * ومقامى والجسم حربا وسلمى

توفى بالقاهرة سنة ٧٧٧ هـ

ومنهم اسماعيل بن هارون وينعت بالنفيس وقد حاز من التصوف كل نفيس وكان له معرفة بالنحو والادب وله نظم رقيق منه قوله

قل اطباء المكتب * رفقا على المكتب

فقد بلى بحبكم * شيخا وكهلا وصبي

دموعه جارية * كالوايل المنسكب

على زمان مربى * لذيد عيش خصب

لنة أيام الصبا * ياليتهم لم تغب

قضيت منها وطرا * ونلت فيها أربى

بين حسان خرد * منعمات عرب

وشادن مبتم * عن در ثغر شنب

ألفاظه تفعل ما * يفعل ماء العنب

وكان مع ذلك صوفيا ورعا ملازما للمسجد الناصري السلطاني توفي بمصر سنة ٧٣٠ هـ
ثم رحلنا عن دشنا صباحا قبل أن ينض الجوثوب الغلس وسارت بنا السفينة حتى
واقينا البلينه غدوة يوم الخميس الثالث من رمضان سنة ١٣٠٩ فوجدنا الركائب
مستعدة على ضفة النيل الغربية لاجل توصيلنا الى العرابة المدفونة لاستطلاع
آثارها الغربية فركبناها واخترقنا البلينه وهي قرية كبيرة تابعة لمركز برديس من
مديرية جرجا جل منازلها باللبن غير منتظمة العمران مشهورة بالتخيل يزرع بها
القصب بكثرة وبها معاصر لذلك ويعمل بها قفف وزنايل من الخوص وحصر من
الحلقة بكثرة وكانت المياه لديهم غير كافية للزراعة سنة ١٢٧٥ فعملت لها ترعة الجمران
حتى صارت مأمونة الري وحصل لاهلها زيادة الفائدة وكان بها قديما كثير من
الشعراء حتى قيل ان بعض حکامها مدح في عيد من الاعياد بخمس وعشرين
قصيدة من شعرائها وسرنا نحو الساعتين ونحن نكابد مشاق السير وصعوبة الصوم
في قيظ الحر حتى كادت المطايا أن تنشد بلسان الحال

أ مطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقات كلا ولكن مطلع العجب

الى أن تمتعنا بمشاهدة العرابة المدفونة وهي مدينة كانت قديما من أهم مدن الوجه
القبلي تلى مدينة طيبة في العظم والحضارة والتقدم وكثرة العمارة وكانت تسمى
في الازمان السالفه أبي دوس اذ كانت على مقربة منها وكانت مقرا للعائلة الاولى
والثانية من الفراعنة على ما حكى المؤرخ مارييت باشا وهي واقعة في سفح جبل
ليبيا بينها وبين النيل ستة أميال وبها الآثار القديمة التي استكشفت في عصر
اسماعيل باشا الخديوي الاسبق رفعت عنها التربة والرمال بمعرفة مارييت باشا
وملاحظته وهي ذات أبنية في غاية الاتقان عليها كتابة مفيدة وبعض غرفها معقود
بمجاراة كبيرة طول الواحد منها خمسة أمتار ملحوم بعضها في بعض بناها سيتي الاول
ونعما رمسيس الأكبر ويشاهد على الحائط الذي على عین الداخل صورة الهين يعطيان
القوة للملك وينسب أحد هذه المعابد وهو الجنوبي الى سيتي الاول وقد بنى في مدة

ابنه زمسيس وهو من أعجب المباني مشتمل على سبعة محاريب الاول فيه صورة ستي الاول وهو يعبد (هورس) الثاني فيه صورة ستي يعبد (ايسس) الثالث فيه ستي يعبد (اسيرس) وبه كيفية عصر الغنبل لاستخراج النبيذ وهناك في مقابلة الباب الاول من جهة اليمين يوجد ستي يقدم صورته من الذهب لايسس واسيرس والبحور لهورس وهذه الغرفة من أجل الغرف ويجانبها غرفة أخرى فيها اسيرس لابس التاج الكامل وهورس يصب على رأسه ماء التطهير ويجانبه صورة اله الحروف يقدم الى ستي تاجي الوجهين ويعطيه الحياة ويليه صورة ستي وهو لابس جلد النمر في صفة كاهن يعبد اسيرس وتجاهه ستي واله الحروف يقدم له النار وأغلب صور هذه الغرفة لسيتي ويجانبها غرفة أخرى من أحسن شئ فيها أن ستي يقدم لرمسيس مائدة عليها الخبز والنبيذ والغنبل (وأبوجلبو) وهذا الخبز صغير مستدير يشابه ما يسمى الآن بالقرص وعلى حائط هناك ستي يقدم لابي قردان (طائر) قربانا وصورة تقاسم مقياس النيل هناك أيضا وفي شمال هذا الحائط حائط آخر عليه صورة لسيتي وهو يعبد العجل وصورة له أيضا وهو يعبد الضفدع وعلى الحائط نفسه محراب الصقر المقدس وهو على صورة جميلة جدا

والمحراب الرابع كان مخصصا لعبادة امن رع وهناك صورة ستي بيده مفتاح المحراب وهو من خشب يشبه المستعمل الآن في بلاد الاريااف والمحراب الخامس فيه صورة ستي وهو يعبد الشمس عند الشروق ويعنون بها الحياة الابدية

والمحراب السادس كان مخصصا لعبادة الاله افتتاح ورسومه بيضاء جميلة جدا والمحراب السابع وفيه ارتقى ستي الى أن يعبد نفسه وصورة ذلك انه جالس على قضبان تحملها الآلهة وأمامه صورته خاضعة له وتقدم اليه القربان فيا للعجب كيف تصور هذا الملك انه اله وعابد معا وأظن هذا لا يتصور لعامل مطلقا ولكن غاية ما يصل اليه الفكر أن ذلك كان من ضمن الالهام على عوام الرعية

ثم دخلنا رجة بها ثلاثة أعمدة تنهى من الجنوب بمعلمين أحدهما فيه صورة الاله
كنوم وصورة سبى يقدم اليه النبيذ وقد تناوله فلعب به وانتقلت هيئته لان
تكون عبدة لمن يعتبر وأمام هذه الصورة صورة هورس وهو يركب على أبيه اسيرس
وصورة الشيطان الذى قتله

والمحل الثانى به كثير من الاشارات الهير وغليفية وفى هذا المعبد وجد الجدول
المعروف بجدول الملوك وهو أعظم من الجدول الموجود فى خزنة لندرة والملك سبى
وابنه رمسيس مرسومان فى ذلك المعبد وأمامهما أسماء خمسة وسبعين ملكا غير
سبى وسلسلة الملوك تنتهى الى مينيس مؤسس العائلات المصرية وعند الباب
العمومى للهيكل رجة عظيمة جدا بها أربعة وعشرون عمودا مكونه اصفين متوازيين
كل منهما اثنا عشر عمودا وبداخل هذه الرجة رجة أخرى تنقسم الى رجتين
كل واحدة منهما بها ثمانية عشر عمودا تكون ثلاثة صفوف

والمعبد الثانى ينسب لرمسيس الثانى وهو شمال معبد سبى ولم يبق منه غير بعض
الحيطان وجدول الملوك بلندره كان فى هذا المعبد نقله الانكليز الى وطنهم والثالث
معبد أوزيريس فى شمال الثانى ومقبرته كانت بجانبه وكانت محترمة عند المصريين
فى ذلك الوقت حتى ان أمراء مصر وأرباب ثروتها كانوا يختارون الدفن فى مقابر
تلك المدينة لاعتقادهم أن القبر الحقيقى لاوزيريس لا يوجد الا بها وبمدينة منفيس
فلما شاهدنا هذا الهيكل وجدنا الدهر قرعه فهدم بناءه حتى علمنا كيف يلى الدهر
الحديد بتقلباته ويذهب نضرته بمحادثاته

وبعد اجالة النظر فى تلك العبر عدنا بين تعب مما كابدناه وفرح بما شاهدناه ثم سارت
الباخرة حتى رست على سوهاج وكان المبيت بها

وعند صباح يوم الجمعة الرابع من رمضان سنة ١٣٠٩ توجه رئيس الارسالية لتوزيع
المكافآت التى أهداها أحد رجال الانكليز وقدرها خمسة جنيهات على تلامذة المدرسة
وعند الساعة الحادية عشرة من صبيحة ذلك اليوم سارت السفينة حتى مرت

(اليوم الحادى
والعشرون)

بجزيرة شندويل في الساعة الثانية عشرة صباحا وهي مرسى لم تقف عنده ولم نزل سائرين حتى مررنا على جبل الشيخ الهريدى وهو بالجهة الغربية وهناك رجل يخدم ضريح الشيخ ومن عادة ذلك الخادم أنه اذا مرت عليه سفينة يقذف طنا من البوص في النهر فلا يزال ذلك الطن يمشى في الماء حتى يدرك السفينة ويقذفه بكيفية بحيث لا بد أن يلتقى مع السفينة حتى اذا وصلها أخذه المسافرون ووضعوا فيه سرة فيها شئ من الدراهم ويقذفونه في النهر ثم يركب ذلك الخادم في زورق صغيره ويسير في الماء ليلتقط ذلك الطن فيأخذه وأهل السفن يفعلون ذلك تيمنا بالشيخ والعادة جارية به وقد فعل ذلك عندما حاذينا الضريح ولم نزل سائرين حتى بعد العصر فررنا على (ابوتيج) وهي بضم الباء بعد الالف كما في تقويم البلدان أو بدون أف كما في مراصد الاطلاع وخطط المقريرى مدينة على الشاطئ الغربى من النيل جنوب أسبوط بينها وبين أسبوط مسيرة ساعات قليلة وتسمى باللغة القبطية نابونوكا وهي تشتمل على ما تشتمل عليه المدن من (القيسريات) والخانات والحوانيت العاصرة بأنواع المتاجر والقهاوى وغير ذلك من الاشياء التى تعد من ضروريات الحضارة وتكثر بها تجارة القماش وبها أنوال لنسيج القطن من ملاآت ومحارم وغزليات وبها معاصر لاستخراج الزيت من السلجم وبزر الكان ومصابغ لصبغ الملابس ومدابغ لاصلاح الجلود واعدادها للاستعمال ومعمل دجاج ويبلغ عدد أهلها ثمانية آلاف نفس وبها شون لتوريد الغلال من مزروعات الاهالى بنيت فى زمن العزيز محمد على باشا وبها ديوان للقسم والتاخراف وآلة بخارية لطحن الغلال ومخبز ولها مرسى يرد عليه كثير من السفن ولها سوق كل يوم أحد تباع فيه المواشى وغيرها وفى جنوبها الغربى أكمة يؤخذ منها السماد للاراضى وفى غربها أيضا قناطر بنى سبيع فى الترع السوهاجية بنيت سنة ١٢٩٢ هجرية وبها عدة مساجد أشهرها وأهمها رونقا مسجد الفرغلى فانه حرم من أعظم مساجد الصعيد له منارتان مفروش بالبسط الثينة وتوقد فيه التريات البلورية ويدرس فيه على الدوام فنون الفقه والحديث والتفسير وبه مقام سيدى محمد بن احمد الفرغلى صاحب الكرامات الكبيرة

ثم أخذنا تسجل عبارات الوداع وتطارح أحاديث الاجتماع فتارة نلحظ الدهر بعين الرضا على هذا الاجتماع ونلهج باطراء الثناء عليه مقابلة لما أسداه وقياماً بهذه الحقوق التي استصغرنا درر المدح عقدا لها ومرة نلحظه شذراً اذ قام دون دوام هذا الارتياح وصار يتوعدنا بتفريقنا أيدي سبا ولقد أعذر من أنذر فاستولت علينا دهشة التفراق وضرب الأسف أطنابه وبقنا ليلة الجمعة في أسى ووزلناها ليلاً للتزهد بها فوجدنا الشوارع مزدانة بالأنوار والمساجد معمورة بالأزكار والأفواه ملأى بالدعوى وتلاوة القرآن الكريم والناس فرحون مستبشرون والأسواق عامرة بأنواع المأكول قياماً بشهر الصوم المبارك وسرنا يوم الجمعة كله بين مناظر بهجة ولكن قد كان استولى علينا الحزن إلى باقى الإخوان فكنا لا نرى خضرة المزارع الا أذكرنا بسائين القاهرة ولاشواقي الجبال الا ونصور قصورها المشيدة وبقنا في مغاغة

وفي يوم السبت الخامس من رمضان سنة ١٣٠٩ هـ أمر جناب المستر دنلوب رئيس (اليوم الثانى والعشرون وهو اليوم الاخير) الارسالية أن يجتمع داخل الحجرة المعدة لذلك فلبينا اشارته فقام فينا خطيباً وأبدى ارتياحه من أخلاقنا حيث لم يجد منا فى خلال السباحة ما يكدر صفو الراحة ولا ما يعوقنا عن الاستفادة بل أعمالنا يصعبها الثبات حتى لم يفتنا شئ من حقوق الآداب وكنا منقادين لأوامره كما يجب على الرؤس لرئيسه سيما طلبة مدرسة دار العلوم فان حضرته نشكر لهم زيادة عن عموم أفراد الارسالية ثم قال حضرته

ما كنت أظن أيها التلامذة أنكم بهذه الخطة اعلمى أنكم شباب والشباب شعبة من الجنون حتى خطر بفكرى أنكم لا تتبعون الاوامر الا بكل مشقة الى أن كشف الزمان قناعه عن تلك الخلال الحميدة فلكم منا الثناء كل ذلك قاله حضرته باللغة الانكليزية وحضرة المستر فاندريك يترجم لنا جملة بجملة وعند تمام خطابه خرج بسرعة فلم يتمكن أحد أن يتشكر لحضرته على هذا الثناء وبعد قليل ونحن نستطاع أنوار مصر المحروسة اذ بدت انا منزهاتها فاستولت علينا راح الانشراح وأخذنا نتلو

عبارات التهاني حيث عدنا من هذه السياحة ولم يحدث في خلالها ما ينتقد أو يعاب ولما صرنا على مقربة من كوبري قصر النيل أخذنا في الاستعداد لمقابلة صاحب السعادة وكيل المعارف وصاحب العزة ناظر مدرسة دار العلوم كل ذلك والباخرة تنهادر فرحا بالاياب

فأقلت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر
وقد تشرفنا بمقابلة حضرتهم ونلنا من جنابهم التهاني بالسلامة وأخذوا يتحدثون معنا في رحلتنا وحثونا على كتابة ما شاهدناه وهذا مما يدل على عناية سعادة الوكيل بالمعارف وعزتلو ناظرنا أبدى من الانشراح ما يعهد في عزته من الرأفة على أبنائه متعنا الله ببقائه ثم حررنا عبارات شكر وثناء الى المستر كوك وأرسلناها الى نظارة المعارف فوضعها في برواز لطيف من الصنع العربي وأرسلتها الى جنابه وهالك صورة عبارات التشكر والثناء لجنابه على ما أولاه من المآثر الجميلة

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم
ان أحسن شيء سطر في صفحات التاريخ وتنافس فيه المتنافسون واشترأت اليه أعناق الفضلاء وبذل كل ذي نفس أية همه الى ادراك شأوه انما هو نشر الفضيلة بين النوع الانساني أو احياء أثر من الآثار الخيرية والافعال المرضية يتناقل حسن حديثه الخلف عن السلف فيكون فيه احياء اسم صاحبه مدى الدهر

المرء يفتي وبعد الموت تذكره * آثاره الغر بالحسن وتحييه

وكل ذي همه في الناس مجتهد * لنشر فضل وفضل الله يؤتيه

وان أهم فضل يذكر وأثر يشكر ما تفضل به علينا جناب المسترجون كوك بالتبرع بالسياحة في الوجه القبلي على نفقته الخاصة وأن هذا وعمر الحق لمن أجل المناقب وأعظم المآثر الحميدة التي أوجبت علينا القيام بواجب شكره والثناء على حسن بره وان ألسنتنا تنشد قائلة

يا أيها الشهم الذي * قلدتنا طوق المنن

يبنى عليك مدى الزما * ن جميع أبنائه الوطن

وكيف لاوقد شاركنا فى أمرين عظيمين ينبى عليهم ما صدق المحبة ودوام الالفه
وهما الاخلاص للعضرة الفخيمة الخديوية وحب نشر المعارف بين أفراد رعيتيه
ولولا صدق مودتك وحسن اخلاصك لجنابه الفخيم مع ميلك الطبيعى لاستكشاف
آثار قدمائنا المصريين تقيما للمعارف واستكمالاً للفضائل لما وصلنا الى ذلك الغرض
النفيس واذا ذلك نقول

وانا تباع كريمة أوتشترى * فسوانك بائعها وأنت المشتري
وعلى كل فانا نرفع لجنابكم أعلام الشكر على منابر النشاء تالين آيات مدحكم وجدكم
فى كل ناد سائلين من المولى سبحانه أن يديم لنا الجناح الخديوى المعظم
لازال يرقى فى المعالى مجده * والسعد يخدمه مدى الايام
حتى به مصر السعيدة تزدهى * بالعزيز والاقبال والانعام
تحريرا بالقاهرة فى يوم الاحد است خلت من رمضان المعظم سنة ١٣٠٩ هجرية

تم طبعها الباهر فى المطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة فى شهر رمضان المبارك
سنة ١٣١٠ من الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة وأتم التهنيه